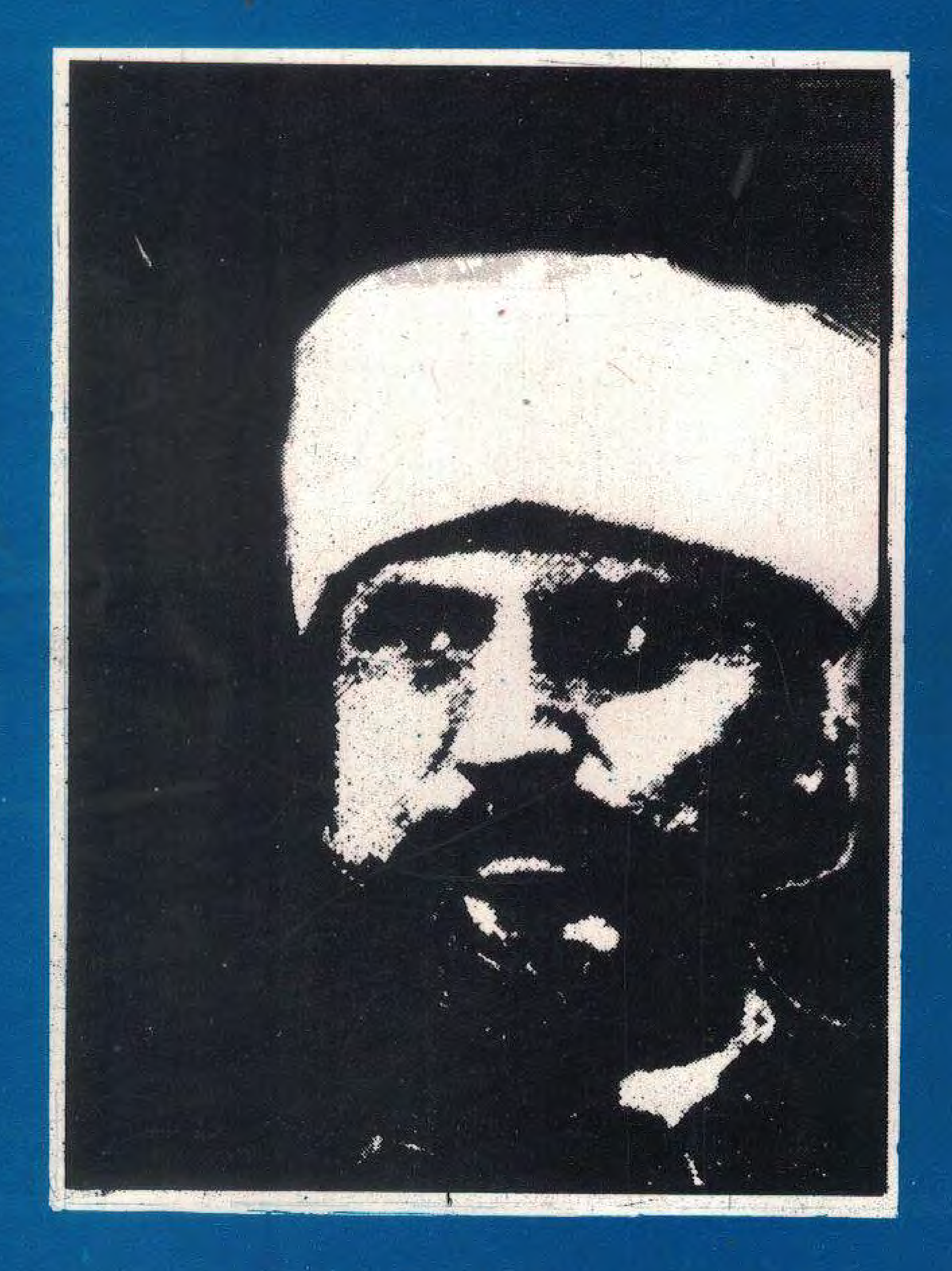
جمال الدين الأفغانى

مراسلات ووثائق
لم تنشر من قبل



ترجمها عن الفرنسية وقدم لها

د. إبراهيم عوض

جمال الدين الأفغانى

مراسلات ووثائق لم تنشر من قبل

ترجمها عن الفرنسية وقدّم لها

د. إبراهيم عوض

الناشر

مكتبة زهراء الشرق

ت : ٣٩٢٩١٩٢



الناشر

مكتبة زهراء الشرق

١١٦ شارع محمد فريد

تليفون/ ٣٩٢٩١٩٢

فاكس/ ٣٩٠٧٩٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـــة

فى هذا الكتاب ترجمة لعدد غير قليل من وثائق شديدة الأهمية تتعلق بجمال الدين الأفغانى ، ومراسلات كانت بينه وبين بعض معارفه وأصدقائه ، ومقالات كتبها هو بنفسه .

وقد قمتُ بترجمة هذه الوثائق والمراسلات والمقالات عن الفرنسية ، وإن لم تُكْتَب كلها فى الأصل بهذه اللغة ، بل تُرجِم عدد كبير منها من الفارسية والتركية إليها .

وأغلب الظن (وأرجو ألا أكون مخطئا فى هذا) أن ظهور هذه الوثائق (أو معظمها على الأقل) فى لغتنا هو شيء جديد . وأهميتها ترجع إلى أن طائفة غير صغيرة منها عبارةٌ عن وثائق دبلوماسية كتبها مسؤولون عثمانيون وأفغان وفرنسيون ، وهى فى أصلها وثائق سرية لم تُكْتَب للنشر .

وفى هذه الصفحات سيجد القارئ كل القضايا التى تتصل بشخص جمال الدين ونشاطه السياسى : فمثلا هل كان الرجل أفغانيا أم هل كان إيرانيا ؟ وهل كان يهدف من وراء نشاطه السياسى إلى خدمة الإسلام أو كان يتخذ الإسلام ستارًا يخفى وراءه مآرب أخرى ؟ ثم ما علاقته بالماسونية ؟ وما علاقته بالخلافة الإسلامية وبمهدىّ السودان ؟ وهل كان يسترزق من وراء الصحف التى كان يصدرها فى باريس أم هل كان يبغى من ورائها مصلحة الإسلام والمسلمين ؟ وهل كانت له علاقات نسائية ؟

وإن كان فما طبيعتها ؟

وأحب أن أصارح القارئ بأننى حتى الآن لا أستطيع أن أميل إلى جانب أى من الفريقين المختلفين حول جمال الدين . لقد كنّا نقرأ ونحن صغار أنه أفغانى الأصل ، وأنه كان يدعو إلى الجامعة الإسلامية ، وأنه كان زاهداً فى المال متجرداً لخدمة مبادئه العظيمة . ثم وقعت فى أيدينا بعد ذلك كتابات من نوع آخر تشكك فى الرجل وتدمغه بكل نقيصة . وكانت النتيجة هى الحيرة ، التى أعترف بأننى لم أحاول بعدُ حسمها ، وذلك بسبب انشغالى بقضايا أخرى أكثر إلحاحاً بالنسبة لى .

وقد أقدمت على ترجمة هذه الوثائق كنوع من التفكير مع القارئ بصوتٍ عال . ولعلّ هذا العمل أن يساعد على تجلية وجه الحقّ فى قضية جمال الدين ، الذى حيرت شخصيته وأحداث حياته كثيراً من الباحثين والقراء . والله يهدى إلى سواء السبيل .

(ملاحظة : الوثائق والمراسلات المترجمة هنا يجدها القارئ فى نهاية رسالة الدكتوراه الخاصة بـ *Homa Pakdaman* والتى عنوانها "Djamal - ed - din Assad Abadi dit Afghani" وقد نشرت هذه الرسالة فى باريس ١٩٦٩م ، وقدم لها المستشرق الفرنسى المعروف مكسيم رودنسون) .

د. إبراهيم عوض

آداب عين شمس

ترجمة جمال الدين الأفغانى بقلمه

(هرات فى سبتمبر ١٨٦٦م)

بفضل من الله تعالى خلّفت دنيا العدم ورائى ودخلتُ فى فضاء الوجود الواسع، وبهذا أكون قد تركتُ عالم الراحة إلى عالم الألم والغرور.

وقد أُكببتُ ردحا من الزمن على طلب العلوم القديمة النادرة وغيرها، فأضاعت هذه الدراسات أيامى سدى ، وتصرمت حياتى الغالية عبثاً ودون جدوى ، ولم أستطع أن أحصّل أية معرفة عن نشأة الدنيا ولا عن البعث فى الآخرة.

ولقد ألحّت علىّ مشاعر الندم عندما بلغت التاسعة عشرة ، فعزمت على أن أكرس نفسى لطلب العلم . ذلك أن « من عرف نفسه فكأنما عرف الله » . ومن ثم وجدتنى مضطرًا إلى التردد على العلماء الرسميين السطحيين الذين تغرهم المظاهر ولا يعرفون شيئا عن عالم المعانى . وإنى لأشتغل بصبر ومثابرة ، وأقوم بالبحوث والاستكشافات الضرورية ، وهذا يسبب لى مزيدا من الحيرة ويزيد من شكوكى باطراد .

وبعد التفكير العميق تبين لى أن كل طائفة لا تفتخر إلا بعقائدها الخاصة ، ولا تنقاد إلا لطبيعتها الخاصة ، ولا تقيم حججها إلا على أساس أفكارها الخاصة المتطابقة مع مبادئها الخاصة . وكما أنه « صحيح أن الفروض لا تؤدى إلى الوصول لحقيقة أى شىء » ، فكذلك كان أولئك العلماء أسرى للفروض التى أوجدوها هم واتخذوها حقائق مؤكدة .

أما الآن فقد انسحبت من هذا اللغط البشرى . وبرغم المصاعب الكثيرة التى قابلتنى وما قاسيته من آلام فوق الحصر فقد أنفقت خمس سنوات كاملات أجوب كثيرا من الأماكن فى أرجاء المسكونة ، حيث تحدثت إلى الرؤساء فى كل دين ، والعلماء فى كل أمة ، والحكماء فى كل مذهب ، وكبار الرجال فى كل بلد ، والمستنيرين من كل إقليم . لقد قابلتُ شخصا ثقة فى كل مذهب دينى ، وعالمًا ضليعا فى كل دين ، وعقلا ممتلئا بالمعرفة فى كل مكان ، وراهبا ذا قلب رقيق فى كل بيعة ، وباحثا فى كل أرض ، وعاهلا فى كل مملكة ، وعملت على أن أعرفهم ، فكان أحدهم مبهوراً بهذه الفكرة ، والآخر واقعا فى شراك ذلك الوهم . كما وجدت العالِم أسيراً لما عنده من العلم ، والحكيم مشدودا لما لديه من الحكمة ، والفيلسوف فخوراً بما حصّل من معارف ، والجاهل فرحًا بما يتصف به من الجهل ، والعابد مستغرقًا فيما عنده من تدين ، والزاهد متقوقعاً فيما يؤمن به من مبادئ ، والمَلك مفتونًا بما فى يديه من سلطان ، والفقير سعيداً بما هو فيه من شقاء ، وهذا واقعا فى غرام تلك النزوة ، وذاك لاهثا وراء هذه الرغبة . وتبين لى أن هذا العالم ليس سوى سرابٍ خادع ومظهر لا حقيقة له ، وأنه لا حول له ولا سلطان ، وأن ضروب العناء فيه لا تعرف حدودا ، بل إن ملذاته ومباهجه لا تخلو من السموم والأكدار .

وهكذا انتهى بى الأمر إلى أن أنأى بنفسى عن هذا الضجيج وأن أفصم علاقاتى بكل ما فيه ومن فيه . وبفضل الله وأوليائه المقربين

استطعت أن أنجو من دنيا الظلمات وأدخل فى عالم الإخلاص لأستمتع بمسرات مهد الضياء . لقد اقتفيت خطا النبى ﷺ ومن اتبعه . لعنة الله على كل من ضل سواء الصراط .

لا تخلّص نفسك يا حافظ من هذه الجُمّة المتموجة .

إن العُلوق بهذا الشرك هو ذاته الاستمتاع بالحرية .

(جمال الدين الحسينى ، عبد الله ابن عبد الله / هرات / جمادى الأولى ١٢٨٣ هـ - سبتمبر ١٨٦٦م) .

من الكتابات الخاصة

(كابل فى ٣٠ أكتوبر ١٨٦٨م)

« إن الله عليم بذات الصدور » .

وليعلم هؤلاء الذين هم أعزّ علىّ من نفسى ما هو آتٍ :

الإنجليز يعدوننى روسيا ، والمسلمون يعتقدون أنى نصرانى . أما السنيون فيرون أنى شيعى ، على حين يظننى بعض أتباع الخلفاء[1] الأربعة الكبار وهّابيا ، وينظر إلىّ بعض الإماميّين على أننى بابىّ . ويصنّفنى الموحدون بين الماديين ، والمتقون بين المنحلين ، والعلماء بين الجهلاء الظلاميين ، والمؤمنون المخلصون بين الملاحدة المتشددين .

لا الوثنى يدعونى إليه ولا المسلم يعدنى من ذويه . لقد نبذنى المسجد ورفضنى المعبد . إننى فى حيرة دائمة ، ولا أعرف لمن أنتمى ولا ضدّ من أحارب . إن رفضك لفريق من الناس يحتم ارتباطك بفريق غيرهم ، واتفاقك مع طائفة من البشر يستوجب مخالفتك لطائفة أخرى . عدِم المخرج فلا خلاص ، وعدِم الأعوان فلست أستطيع الكفاح .

جالسٌ فى بالاَحصار فى كابل مقيد اليدين محطّم القدمين ، أنتظر أن أرى من يتنازل فيزيح ستار الغيب عن عينىّ وأعرف المصير الذى يدخره لى هذا العالم الشرير .

(كُتب فى ١٣ رجب ١٢٨٥هـ ـ ٣٠ أكتوبر ١٨٦٨م بقلم الغريب فى المدائن والطريد من البلاد، جمال الدين الحسينى الإستانبولى) .

---

(١) يقصد أتباع الخلفاء الراشدين ، أى أهل السنة .

مختارات من مراسلات جمال الدين

١ ـ رسالة عن أفغانستان

« الله هو العلىّ »

« خلاصة موجزة عن أحوال الشعب الأفغانى »

كما هو واضح وظاهر للمؤلف ، فإن مَثَل الرؤساء فى أفغانستان كمَثَل علماء اليهود وزهادهم ، إذ يعُدّهم أتباعهم « أربابا من دون الله » . ذلك أن جمهور المسلمين يستفتونهم ، ويسألونهم النصيحة فى أتفه المسائل ، وينظرون إليهم كأنهم هم أصل جميع النِّعَم بل ومصدر الموت والحياة والإنعامات الملكية والشقاء والمجد والعار أيضا .

وإذ يعتقد هؤلاء الرؤساء أنفسُهم أنهم « أنداد لله » ويتبعون أهواءهم المنحرفة وآراءهم التافهة الحقيرة ، نراهم ينعمون بخلعة على هذا ، ويستولون على أملاك ذاك . « والذين يتخذون أربابا من دون الله أولئك هم الخاسرون » .

ومَثَل الجهال فى بلادنا الذين يظنون أنفسهم علماء ، والباحثين الذين يعتقدون أنهم يسعون وراء العلم (وهم المسمَّوْن بالعلماء) ، كمَثَل الخمر والميسر . فإذا كان حقا أن فى توجيهات « هؤلاء العلماء » بعض المنافع حين يتعلق الأمر بالصلاة والصيام ، فإن « إثمهم أكبر من نفعهم » ، ذلك أن هؤلاء العلماء يقومون بإدخال تعديلات وتغييرات واسعة على أحكام الدين تبعاً لهواهم . كما أنهم يأتون

بأحكـام أخرى من عندهم جريا وراء نزواتهم الشخصيـة ، فيكفرون من يجرؤ على أن يكون له رأى غيـر آرائهم . « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » (١) .

ومَثَل القـادة العسكريين والموظفين والضباط فى هذا البلد كمَثَل الأصنام والخُشُب المكسوّة التى كانت لقريش ، فهم لا يملكون موتاً ولا حياة لأى إنسان . كما أنهم يفتقرون إلى الذكاء اللازم لحلّ المشاكل الصعبة ، وتنقصهم الشجاعة والجرأة على امتشاق الحسام وخوض المعامع . ومن ثمّ تراهم ، على غرار الدراويش الذين لا يفكرون إلا فى مصلحتهم ، ينتظرون سنوح الفرص كى يُجْروا خيولهم فى مضمار الأقوياء . وليس عندهم من الكرم ما يجعلهم يتصدقون بدرهم على مسكين . كما أنهم محرومون من اللسان الحلو فلا يستطيعون أن يقولوا قولا معروفاً لغريب من الغرباء .

إنهم (أى الأفغان) يشبهون فرعون وهامان فى كبرهم ، وإبليس فى إثارة الفتن . والذين « يفسدون فى الأرض » (٢) ويتكبرون على الناس « أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » (٣) .

(١) سورة « المائدة » / ٤٥ .

(٢) سورة « الشعراء » / ١٥٢ .

(٣) سورة « البقرة » / ١٥٩ .

٢ - رسالة إلى ابن أخته مرزا لطف الله

(مرسلة من باريس إلى أسداباد هَمَدان فى ١٨٨٤م)

نور عينى ، مرزا لطف الله :

استلمت لتوى رسالتك التى تدل على كرم عنصرك وصفاء نفسك وقدراتك الشخصية ومواهبك الفطرية .

وقد كنتُ سعيدا أشد السعادة لما لاحظته على أسلوبك من تطور بالغ ، وعلى عباراتك من تماسك وانسجام ، وعلى صورك من تناسب ، وعلى تعبيراتك من حُسْنٍ وجمال ، وهو ما أهنئك عليه . ذلك أن زينة الشباب إنما تكمن فيما عندهم من علم . لكن لا ينبغى أن يكتفى الشباب بهذا ، لأن الوقوف عند درجة واحدة من الكمال شاهد على انحطاط الطبيعة وفساد الإرادة .

تقول لى إنك ترغب فى المجىء لرؤيتى فى باريس . فإذا لم يكن لرحلتك إلى هنا من سبب غيرى فإنى آمرك بالطاعة والانتظار حيث أنت ، لأن الظروف غير ملائمة . ولكن عندما يحين الوقت فسوف أستدعيك بنفسى ، أما إذا تصرّفْتَ على خلاف ما أمرتك فإنى أُشهد اللّه على أنك لن تجدنى فى باريس أبدا .

بلّغ سلامى إلى الأصدقاء الذى لا يزالون على قيد الحياة ، واعكف على دراسة « مكارم الأخلاق » لناصر الدين الطوسى .

جمال الدين الحسينى

٣ ـ رسالة إلى أمين الضرب (الابن)

بخصوص خادمه أبو تراب (سان بطرسبرج ١ مارس ١٨٨٨ م ـ

٢٩ شوال ١٣٠٥ هـ)

إن شكواى منك هى بمثابة الشكوى من نفسى ، إذ إن ذلك سوف يجعلنى أظن أنه ربما وقع منى إهمال فى تلك الشهور التى كنت أعلّمك فيها [١] أو النصائح الكثيرة التى زوّدتك بها . كذلك فإن اعتصامى بالصمت سيكون معناه رضاى عنك فى الوقت الذى أرى أنه لافرق بينك وبين سائر الإيرانيين الآخرين فى سلوكك وعاداتك ، وهو مالا أتمناه أبدا ، إذ إن لدىّ أملا فى أن أراك مشغولا بجلائل الأعمال فى المستقبل .

تُرَى لم هذا الكسل ؟ لقد أرسلت إليك خطاب تهنئة ، ولكننى لمّا أتلق عليه ردًا . أيكون ذلك بسبب خجلك ؟ لكن طبقًا لقوانين الطبيعة وتعاليم الدين فإن الخجل غير جائز البتّة . ومع ذلك فسوف أغض الطَّرْف عن هذا الأمر .

لقد وضعت تحت رعايتك أنت بالذات مرزا أبو تراب ساووجى [٢] ، ولهذا مغزاه الكبير الذى لا أظنه أبدًا قد فاتك . ولا بد أن تعكس رسائله آثار توصياتى ودلائل طاعتك . ورجائى أن تهتم بنفسك برسائله وتعمل

---

(١) فى سنة ١٨٨٦م كان جمال الدين يعطى دروسًا لفاضل .

(٢) ابن عم أمين الضرب ورفيقه فى موسكو .

على وصولها إلىَّ عن طريق أغا محمد جواد [١] ، وأن ترد كذلك على خطابى بأسرع ما يمكن دون تكاسل أو إهمال .

بلغ سلامى للحاج مرزا إبراهيم ، وكذلك تحياتى الحارة لوالدتك المحترمة ، التى يجب أن تكون طاعتك لها طاعة تامة .

إمضاء : جمال الدين الحسينى

---

(١) كان جمال الدين قد ترك أبو تراب فى رعاية أمين الضرب ، حيث ظل عنده بعض الوقت ثم عاد بعد ذلك إلى أخيه ، الذى كان يشتغل بوابا فى إحدى المدارس .

٤ - رسالة إلى ناصر الدين شاه

(ربيع الثانى ١٣٠٧ هـ - ديسمبر ١٨٨٩م)

هأنذا قد وصلت لتوى إلى دار الضرب [١] وكُلّى وفاء لما قطعتُ من عهود . وقد أنجزتُ ما وُكِل إلىّ من مهامّ . ولكن قبل أن أجتاز عتبة المدينة ، وقبل أن ألتمس الإذن بالمقابلة ، أحب أن أطلعكم على ماعندى :

إننى أعرف أن النفوس الشريرة لن تتركنى أبدا فى حالى ، وستمضى دائما فى تشنيعاتها علىّ ، وأن جلالته لن يتخذ أى إجراء للقضاء على هذه الإساءات والتشنيعات

ومع ذلك فإذا ظللتم على ميلكم إلى الثبات فى هذا الأمر فاسمحوا لى فى تلك الحالة بالنزول إلى المدينة والتماس الإذن بالمقابلة .

أما إذا لم تختلف هذه الدعوة عن سابقتها فائذنوا لى من الآن بالعودة كيلا يجد المشنّعون إلى إزعاجى سبيلا وحتى لايقال إن جلالته لا يفى بما قطع من وعود .

جمال الدين الحسينى

---

(١) كانت دار الضرب تحت إشراف أمين الضرب ، وكانت تقع فى ضاحية طهران .

٥ - رد الشاه على الرسالة السابقة

السيد جمال الدين :

سعدنا بوصولكم وأخذنا فى الاعتبار تحركاتكم ، ونحن متأكدون وواثقون تماماً من كلامكم ووطنيتكم .

أما بالنسبة لنا فنحن باقون على الوفاء لما قطعناه من عهود ، فادخلوا إذن آمنين ، وانزلوا عند معالى رئيس الوزراء ، والتمسوا الإذن بمقابلتنا كل يوم فى صحبته .

الشـــــاه

٦ ـ الرسالة الثانية إلى ناصر الدين شاه

أنا ممنون تماماً لجلالته على وفائه بتعهداته وكرمه .

لكننى لا أحب أن أنزل عند رئيس الوزراء لأن عندى بيوتا أخرى كثيرة . وبما أن الحاج محمد حسن أمين الضرب هو أحد أصدقائى ، وبما أننى قد نزلت فى بيته فى المرة السابقة ، فإننى أودّ لو نزلت ضيفاً عليه هذه المرة أيضا .

جمال الدين الحسينى

٧ ـ رد الشاه على الرسالة السابقة

السيد جمال الدين :

مادمت ترغب فى النزول ضيفا على الحاج محمد حسن فبها ونِعْمَت .

إمضاء : الشـــــاه

٨ - رسالة إلى أمين الضرب

(البصرة ١/٢/١٨٩٠ م)

كرمان شاه فى ٢٣ جمادى الثانية ١٣٠٨ هـ - أول فبراير ١٨٩٠م

ألف تحية لنور القلوب الحاج محمد حسن المحترم ، ثبّته الله دائما على الصراط المستقيم .

حدث فى يوم الخميس الماضى ، بينما كنت أئن تحت وطأة التعب بسبب المرض فلم أستطع حراكا ، أن اقتحم علىّ منزلى عشرون جلادا من رجال مختار خان [1] ، هذا الـ « عُمَرَ سَعْد » [2] (وكان معين التجار [3] معى حينذاك) . وقد كان العنف والقسوة اللذان جرونى بهما إلى الخارج دليلا قويا على مدى الكراهية والبغضاء التى فى قلوب رجال ابن زياد [4] هؤلاء .

---

(١) كان واليا على شاه عبد العظيم آنذاك .

(٢) عمر سعد هو قائد الجيش الذى كان يحارب الحسين بن على إمام الشيعة ، والذى مات فى تلك المعركة .

(٣) أحد كبار التجار فى كرمان . وقد عرف جمال الدين فى منزل أمين الضرب بطهران .

(٤) ابن زياد هو والى العراق فى حياة الإمام الحسين ، وهو الذى أرسل الجيش لمحاربته (رضى الله عنه) .

ولقد كانوا يخشون أن تكون بعض بقايا من الإسلام لا تزال مستكنة في قلوب الناس فى شاه عبد العظيم ، وأن الحمية الدينية قد تحملهم على الدفاع عنّى ، وهو خوف فى غير محلّه وخاطر لا معنى له ، إذ إن الإسلام والشجاعة قد غادرا هذه البلاد كما أكّدتُ مرارا وتكرارا .

وكان من جرّاء العجلة التى جرّونى بها أن أخذَتْ أزرار قميصى وجبتى تخنقنى فوقعت على الأرض فاقد الوعى . ونتيجة لذلك لم أعرف كيف وصلت إلى بيت الوالى ، هذا الـ « عمر سعد » . لقد أمضيت أربع ساعات وأنا لا أعلم أين أنا ، وعندما عدتُ إلى وعيى رأيت أمام عينىّ هذا الـ « عمر سعد » ، وكذلك شمر[1] بشحمه ولحمه . أقصد حسنى خان قزوينى ، رئيس الشرطة .

وعلى مدى ساعات ثلاث كان علىّ ، وأنا جالس بلا عمامة أو قفطان ، أن أشرب ماءً باستمرار ، لأن الاختناق قد زاد حرارة كبدى . وقد بقيت هكذا إلى أن بلغت كرمان شاه حيث كان علىّ أن أتناول الماء أربعين مرة فى اليوم .

وعندئذ أخبرنى الـ « شمر » أنه لم يبق على غروب الشمس إلا ساعتان ، ولا بد من ثَمّ أن نستأنف المسير . وفى غضون ذلك سألت مختار خان أن يأمر بإحضار حقيبتى ، التى كنت قد وضعت فيها مبلغا صغيرا

---

(١) شمر (بن ذى الجوشن) هو قاتل الحسين ، شهيد كربلاء (رضى الله عنه) .

من المال . لكن رجاله قاموا وانصرفوا دون أن يأتونى بالحقيبة ، التى كانت تحتوى على شىء من المال وبعض الأوراق [١] وعدد من الكتب أيضا ، وذهبت توسلاتى كلها أدراج الرياح .

وفى نهاية المطاف أعلن « شمر » أن الوقت متأخر وأنه سيرسل الحقيبة إلى قُمّ . وعندئذ أحضروا لى صرة من الملابس وغليونى ومقلمتى . لكن بعضهم استولى على الغليون ، وآخرُ على المقلمة ، وثالثٌ على العصا . ووضعوا أخيراً فى إحدى الشنط معطفا وجبتين وقفطانا .

ثم وضعونى فوق بغل هزيل يرافقنى ثلاثون فارساً لحراستى لمدة نصف ساعة من الطريق . وبعد ذلك عهدوا بى ، وأنا فى حالة يرثى لها من المرض والاختناق والتهاب الكبد ، لخمسة من هؤلاء الفرسان يرأسهم العقيد حامد خان ، أو بالأحرى سنان بن عسّاس [٢] بلحمه ودمه .

ولكم أن تتخيلوا حجم العناء الذى كان علىّ أن أقاسيه طوال الطريق دون معطف أو سراويل ، وفى الثلج والبرد القارس ، فضلا عن غلظة الحراس وتعسفهم والنوم على القش فى محطات الخيول فى قلب العطن والدخان . وأغرب من كل ذلك أن جنود ابن سعد قد جرّدونى من

---

(١) أرسلت هذه الحقيبة مباشرة إلى ناصر الدين شاه . وقد وجدوا فيها خطابات مشبوهة لعدد من رجال الدولة ، وبخاصة خطاب من أمين الدولة إلى جمال الدين يتحدث فيه باحتقار عن الحكومة وعن رئيس الوزراء بوجه خاص .

(٢) سنان بن عسّاس هو أحد القادة العسكريين فى جيش ابن زياد .

القطع النقدية القليلة التى بقيت فى جيبى . وفيما بين شاه عبد العظيم وكرمان شاه لم يحدث أن تناولت اللحم إلا مرة واحدة ، وذلك فى محطة دستجرد . ومن أغرب الأشياء أيضا أننى قابلت هناك الحاج ناصر ، الذى أبدى لى ودا بالغا وكرما خالصا ، وأراد أن يقدم لى فرسا لكننى لم أوافق . كان الله فى عونه !

ولقد قصصت عليكم كل ذلك لكى تعرفوا أن هذه المتاعب لم تؤثر إلا فى جسدى ، أما روحى فكانت وستظل تنعم بالبهجة على الدوام . وسيكون بإمكان أقوام من الفرس بالتأكيد أن يعرفوا إلى أى مدى أستطيع الثبات (فى مواقفى النضالية) من أجل إصلاح أحوالهم المادية والروحية ، وأن آرائى لم يكن يُقْصَد بها إضاعة الوقت ولا إثارة المشاعر فى المحافل .

وإنى أدعو الله العلى القدير أن تكون هذه الحادثة الرهيبة سُلّم رقىّ لى وأن يساعدنى سبحانه فى بلوغ الغايات العليا وأن يدخل السعادة فى القلوب المستضيئة بنور الإيمان . آميـن .

وقد فرغت لتوى من قراءة الرسالة التى كنتَ قد بعثتَ بها للسيد محمد على [1] . ومنذ اليوم الأول الذى التقينا فيه لم يحدث أن شككت لحظة واحدة فى صفاء نفسك أو طيبة قلبك أو سموّ أخلاقك . شكر الله لك وجزاك أحسن الجزاء .

---

(١) موظف بمصلحة التبغ فى كرمان شاه كلفه أمين الضرب بمساعدة جمال الدين وخدمته وإعطائه ما يمكن أن يحتاجه من مال .

والحق أن السيد محمد على ومُلاّ على [١] لا يتوانيان عن تلبية أى مطلب أُبْديه . ومن المؤكد أننى لن أتردد فى طلب أى شىء منهما أكون فى حاجة إليه .

ومن الغريب أن السيد حسام الملك [٢] ظل حتى يومنا هذا ودوداً نحوى الى حدّ بعيد . ونظراً إلى ما أنا فيه الآن من عناء فإنه يتجنب الحديث فى موضوع رحيلى أو إطالة أمد إقامتى .

وأملى ألا تصيب عزائمنا أنا وأنت أو حميّتَك الدينية أيةُ درجة من الوهن ، بل على العكس ينبغى بعد هذا الحادث الرهيب أن تضع فى اعتبارك باستمرار الطريقة التى يرى المولى بها آيات قدرته لأعداء الدين والدولة ، وأن يزيدك هذا إيماناً إلى إيمانك .

كذلك جاء وكيل الدولة [٣] فى زيارة لى ، وأخبرنى أنه على استعداد لتزويدى بكل ما أحتاج إليه ، كالخيول والنقود . كما أكّد السيد محمد على أن أمين الدولة [٤] قد وصّى رئيس المركز بأن يوفر لى جميع مطالبى ، بيد أن خطابه لم يصلنى بعد . هذا ، وأرجو أن تصبح لى على الحاج مَلِك [٥] وكذلك صديقى فاضل .

والسلام ختام .

جمال الدين الحسينى

---

(١) تاجر من كرمان كلفه أمين الضرب أيضا بما كلّف به محمد على .

(٢) كان حسام الدين واليا لكرمان شاه .

(٣) وكيل الدولة هو والى كرمان آنذاك .

(٤) أمين الدولة هو وزير البريد .

(٥) الحاج محمد مهدى مَلِك التجار تاجر من بوشهر ومن أصدقاء جمال الدين .

٩ - رسالة إلى شخصية تركية

(لندن ١٨٩٢م)[(١)]

أرى أن مسألة الأفغان ومَلِكهم والاضطراب الذى هُمْ فيه هى مسألة لا يمكن للإنسان أن يخرج منها إلا بمكسب . وبسبب ارتباطهم بالدين وخضوعهم لكرسىّ الخلافة فإنهم فى أيدى أى دبلوماسى ماهر لن يكونوا سوى آلة يستعملها كما يحبّ ، أو صورة يشكلها على هواه . ولا يمثل توجيه السياسة الأفغانية نحو السياسة العثمانية ، التى ستكون تابعة لها ، أية صعوبة بالنسبة لأى دبلوماسى يتمتع بحسن النية ، وله خبرة بشؤون الأفغان بحيث يستطيع التعامل معها ، ويقدر على أن يبين لهم عن طريق الأدلة المنطقية أن ازدهار الإسلام لا يمكن أن يتحقق إلا بالاتحاد مع كرسىّ الخلافة سواء فى حالة السلم أو فى حالة الحرب أو فى فترات الحياد .

فإذا نحن استطعنا أن نجذب الأفغان نحو السياسة العثمانية فسوف يجد الفرس أنفسهم مضطرين إلى الاشتراك فى هذا التحالف على غير إرادتهم ،

---

(١) سلّم سليم حموى ، أحد رجال الشرطة المصرية ، إلى السلطات البريطانية هذا المشروع (الذى يطرحه الأفغانى فى رسالته) . وكان الأفغانى قد بعث بها من لندن إلى إستانبول فى ١٨٩٢م ، وما إن حلّ اليوم الثلاثون من أغسطس من نفس العام حتى حُوِّل التقرير إلى آرثر هنرى هاردنج ، القنصل العام لبريطانيا العظمى ، الذى أرسله إلى وزير الشؤون الخارجية الإنجليزى .

لأنهم سيجدون أنفسهم معزولين بين قوتين متحالفتين . وهذا من شأنه أن يرفع من شأننا فى عيون القوى الكبرى ويضعنا فى الصف الأول من المسرح السياسى . وسوف تتفاهم إنجلترا وروسيا معنا وتحاولان التقرب منا ومساعدتنا فى مشاريعنا . وسيكون بمستطاعنا آنذاك أن نختار التحالف الذى يتفق مع مصالحنا على أحسن وجه دون ترجٍّ أو استجداء .

وهذه السياسة هى بالتأكيد أفضل من التقارب مع إنجلترا ، التى تُعَدّ مفتاح التحالف الثلاثى ، لأنه من غير الممكن أن تخوننا وتساعد النمسا فى الحصول على جزء من أَرَضينا تعويضاً عن الأرض النمساوية التى تطمع فى الاستيلاء عليها .

ولا نَنْسَ أن ألمانيا وكذلك قوى التحالف تساند السياسة الإنجليزية فى مصر ، وهو ما يناقض الاحتجاجات الودية التى تقوم بها فى تركيا ، ويراد بها منع إنجلترا من عرقلة النشاط الألمانى فى أفريقيا .

والنتيجة إذن هى أن القوى الكبرى إنما تضع نصب أعينها مصالحها هى لا مصالحنا ، وكلها ليس لها إلا هدف واحد هو تعفية كلّ أثر لنا على سطح الأرض . وهذه مسألة لايوجد فيها أى اختلاف بين روسيا وإنجلترا أو ألمانيا أو فرنسا ، وبخاصة إذا شعرت هذه الدول بضعفنا وعجزنا عن التصدى لأطماعها . وعلى العكس من ذلك فإننا لو اتحدنا وأصبح المسلمون بمثابة رجل واحد لكان بمستطاعنا أن نضر وننفع وأصبح لنا صوت مسموع .

إننا إذا توصلنا الى التحالف مع الأفغان وضمّ بلاد فارس معنا فسيكون من السهل علينا أن نبسط نفوذ الخلافة بين مسلمى الهند ، وعندئذ سوف تأتينا إنجلترا زاحفة وترحل عن مصر .

إن جذب الأفغان إلى سياستنا وتحالفنا معهم ليس بالأمر الصعب . ولن يستطيع ملكهم المعارضة فى هذا عندما يجد شعبه ميالا إلى ذلك التحالف . بيّد أن نجاح هذا المشروع يتطلب أكبر درجة من الحذر فى تخاذ الإجراءات اللازمة حتى لا تعرف القوى الكبرى به وتشل جهودنا قبل أن ننجح فى وضعه موضع التنفيذ .

وإنى لزعيم لتركيا بإتمام هذا الأمر إذا هى أخذت برأيى واستمعت إلى نصحى ووكلت إلىّ هذه المهمة . وإذا قُدّر لى أن أكون إلى جانبها فسوف أرشدها إلى كثير من الأشياء النافعة التى كفلتْ لى خبرتى العلمَ بها أكثر من أى شخص آخر .

هذا هو ما يمكننى أن أقوله الآن ، وهو واجب لابد لى من أدائه. والدين النصيحة ، والله المستعان .

١٠ - آخر رسالة بعث بها جمال الدين من إستانبول

وهى على عنوان أحد أصدقائه الفُرْس (بدون تاريخ)

أكتب إليك هذه الرسالة من السجن حيث يستحيل أن أقابل آيا من أصدقائى . لقد عُدِم الأمل فى النجاة ، كما عُدِم الأمل فى الحياة ، ولكنى مع ذلك لا يكربنى السجن ، كما لا يفزعنى الموت الذى يدنو منى . لقد أُلقى بى فى السجن عقابا لى على دفاعى عن الحرية الإنسانية ، وهأنذا أمضى إلى الموت لكى تحيا الإنسانية .

ولكن وا أسفاه على أننى لم أجن ثمار ما غرستُ ، وعلى أن المُثُل التى اعتنقتها وعملت من أجلها لم يتحقق إلا جزء منها ! ذلك أن سيف الاستبداد يحول بينى وبين تأمل يقظة الوعى الاجتماعى عند شعوب الشرق ، وأن قوى الظلام تمنعنى من سماع صرخة الحرية وهى تنطلق من صدور هذه الشعوب .

ألم يكن الأفضل أن ألقى بذور أفكارى فى حقول الفكر الشعبى الخصبة بدلا من أجادب القصور الملكية ؟ إن البذور تنمو وتزدهر فى تلك ، على حين تتعفن فى هذه .

والحق أنه ما من اقتراح من مقترحاتى التى رائدها الإخلاص قد حظى بالقبول من سلاطين الشرق على مافيها من إخلاص . إن الجهل والطمع يجعلان فى آذانهم وقرا .

ومع ذلك فقد كنتُ وضعتُ أملى فى بلاد فارس حيث كان جزائى على ما تجشمت من متاعب أن ألقوا بى فى أيدى الجلادين . ولقد بذلوا لى فى تركيا ما لا يحصى من الوعود حتى آتى إليهم ، وهاهم أولاء يعاملوننى بطريقة وحشية غير مدركين أبداً أنهم إذا دمّروا إنسانا فإن هذا لايعنى القضاء على ما يؤمن به من أفكار ، وأن الكلمات العادلة ستبقى إلى الأبد مكتوبة على وجه الزمان .

إننى أرجوك ، ياعزيزى ، أن تطلع زملائى وأصدقائى من الفرس على هذه الرسالة ، وأن تضيف إليها مشافهةً الكلمات التالية :

أنتم يا من تمثلون الثمار الناضجة فى بلاد الفرس ويا من تعملون على إيقاظ الوعى الاجتماعى لدى الشعب الفارسى ، لا يرهبنكم السجن أو الموت ، ولا تنهزمنّ أمام استبداد الملوك . أدّوا عملكم بسرعة ومهارة . إن تيارات الحضارة مصيرها إلى الفناء . ولا بد لكم أن تبذلوا جهودكم على قدر ما تستطيعون لنسف قواعد هذا النظام .

كثفوا جهودكم خاصة من أجل القضاء على التقاليد التى تحول بين الشعب الفارسى والسعادة ، وذلك بدلا من أن تعملوا على القضاء على الأشخاص الذين يتمسكون بهذه التقاليد . إنكم تضيعون وقتكم عبثا إذا انشغلتم بهؤلاء ، فإن الذى يحترم العادات والتقاليد إذا فقد واحداً منها تمسك بغيره . حاولوا أن تزيلوا الحواجز التى تفصل بينكم وبين الشعوب الأخرى ، ولا يستغفلنّكم الغوغائيون .

جمال الدين الحسينى

وثائق رسمية عن جمال الدين

أولا ـ تقرير مدير شرطة باريس للسيد مدير شؤون المجرمين بلندن عن نشاطات جمال الدين فى باريس (١٨٨٣ م)

باريس فى ٦ يوليو ١٨٨٣ م

سيدى المدير :

طلبتم إلىّ فى العشرين من يونيو المنصرم أن أمدكم بمعلومات عن شخص يُدْعَى جمال الدين يُشْتَبه فى أنه وراء الخطابات التى وصلت ناساً كثيرين مقيمين فى مصر وفيها تهديد لهم بالموت .

ويشرّفنى أن أنهى إليكم هنا نتيجة البحث والتقصى الذى أمرت بإجرائه فى هذا السبيل :

السيد جمال الدين أديب من أصل أفغانى يبلغ من العمر خمسة وأربعين عاماً . وهو رجل عَزَب يسكن منذ ١٧ فبراير الماضى المنزل رقم ٦ فى شارع سيز (*Sèze*) بإيجار شهرى قدره خمسون فرنكا .

وكان عندما استأجر هذا المسكن المقيّد فيه باسم « الدين ـ جمال » قادما من ككلتا ، ولم يكن سبق له أن زار باريس .

وهو ذو علم واسع . وبرغم أنه يتحدث الفرنسية بكثير من الصعوبة

فإنه يعرف ثمانى لغات .

وقد ألف هو والسيد يعقوب صنّوع ، أستاذ اللغة العربية ورئيس تحرير إحدى الصحف التى تصدر بتلك اللغة فى باريس من المنزل رقم ٤٨ بطريق كليشى (*avenue de Clichy*) ، كثيرا من المقالات المعادية لإنجلترا .

والسيد جمال الدين يستقبل زوارا كثيرين ، وتبدو حالته المالية طيبة .

هذا ، وليس فى سلوكه المعتاد ولا فى أخلاقه ما يمكن أن يكون محل انتقاد .

وتقبلوا منى ياسيدى المدير أخلص آيات الاحترام .

مدير الشرطة

ثانيا- برقية دبلوماسية من مرزا أسد الله خان ديبا (ناظم الدولة) ، السفير الفارسى فى إستانبول (حتى ١٨٩٦م) إلى أمين السلطان ، رئيس الوزراء الفارسى ، بعد وصول جمال الدين إلى تركيا فى ١٨٩٢ م

منذ حين والحكومة الإنجليزية تخطط سرًا للقضاء على خلافة السلطان وصرف الشعوب عنه . وفى سبيل هذه الغاية نراها تحرض الشيوخ العرب على الثورة ، عارضة عليهم أن يختاروا بأنفسهم خليفة (آخر) يكون مقره مكة المشرفة أو يعترفوا بالخلافة لشريف مكة ، سليل زيد بن على .

ومن بين وسائل الإنجليز إلى هذه الغاية السيد جمال الدين ، الذى كان يؤلف المقالات فى لندن لتشجيع المشايخ العرب وتحريضهم على مقاومة الحكومة العثمانية والاستبسال فى كفاحهم ضدها . كما أنه كان يزرع فى عقول عامة الشعب شعور الاستهانة بالسلطان ، الذى هو فى نظرهم خليفة الدنيا كلها .

أما الوسيلة التى استخدمتها الحكومة العثمانية للتغلب على هذه العقبة فتمثلت فى إرسال خطاب إلى سفيرها فى لندن لإغراء جمال الدين

بالذهاب إلى إستانبول عن طريق الوعود والإغراءات . وقد تصرف السفير طبقا للتعليمات التى تلقاها ، وبعد أن أعطاه التأكيدات اللازمة جعله يسافر إلى إستانبول حيث يبدو الأمر وكأن السلطان هو الذى دعاه .

هذا ، وبعد أن تلقيت برقية معاليكم قمت بإطلاع رئيس الوزراء (التركى) على فحواها . وكان جوابه أن إلقاء جمال الدين فى السجن هو أمر مستحيل ، إذ إن السلطان قد أتى به الى هنا بعد أن بذل له الوعود، فكيف يصحّ أن يحبسه ؟

ومن ناحيتى فقد بعثت برسالة إلى السلطان عن طريق رئيس الوزراء ، فجاءنى جوابه التالى :

- أعتقد أننى قد أديت خدمة جليلة للشاه فى هذا المضمار عندما باعدت بين جمال الدين واللعين مالكوم خان . وقد أتيت به إلى هنا كيلا يفتح فمه وحتى لا يكتب أو ينشر شيئا . وما دام هو معنا هنا فإنى سأعمل على ألا يكتب شيئا عن بلاد فارس . وفى نيتى بعد ذلك أن أرسله إلى مكان ما حيث ينشغل بتأليف الكتب . ولكن مادام معروفا أنى ، قبل أن آتى به إلى هنا ، قد أعطيته التأكيدات اللازمة فإن وضعه فى السجن سيكون تصرفا لا يليق بالملوك .

ثالثاً - رسالة من علاء الملك ، سفير بلاد فارس فى إستانبول ، إلى أمين السلطان ، رئيس الوزراء الفارسى بخصوص تسليم جمال الدين المتهم بشتم بلاد فارس فى مقالاته بالبصرة ولندن وتحريض العلماء على خلع الشاه

إستانبول فى ٨ فبراير ١٨٩٦م - ٢٣ شعبان ١٣١٣ هـ

الملاحظ أن العثمانيين يمتنعون عن تسليم الشيخ جمال الدين والمتواطئين معه ، ويسوّفون دائماً فى تنفيذ ماوعدوا به فى هذا الصّدد .

وقد أرسلوا فى اتجاه الحدود مرزا أغا خان ومرزا حسن خان والشيخ أحمد روحى ، بيد أن الأوامر صدرت بالاحتفاظ بهم وعدم أخذهم إلى حدود فارس .

ولو أن الحكومة الفارسية فكرت فى إرسال بعض القوات نحو الحدود العثمانية للاحتجاج على الموقف العدائى من جانب والى البصرة نحو النائب القنصلى للإمبراطورية العالية ومعارضته فيما يقوم به من ترميم قبة مسجد العسكرين وكذلك للاحتجاج على عدم تسليم الشيخ جمال الدين وشركائه فسوف يكون لذلك أثره .

رابعا- على هامش الرسالة نفسها كتب ناصر الدين شاه الجواب التالى :

لامانع من إرسال قوات إلى حدود أذربيجان وكرمان شاه .

خامساً- رسائل دبلوماسية وبرقيات مرسلة من علاء الملك ، سفير بلاد فارس فى إستانبول ، إلى أمين السلطان رئيس الوزراء الفارسى بخصوص تسليم جمال الدين واشتراكه فى اغتيال ناصر الدين شاه

الرسالة الأولى

فى ١١ مايو ١٨٩٦ م ـ ٢٧ ذى القعدة ١٣١٣ هـ

تسلمت اليوم برقيتكم الخاصة بالشيخ جمال . وقد تحدثت بهذا الشأن إلى سفير إنجلترا ، الذى كان هنا أمس فى زيارتى . وبما أنكم أعلنتم أن الوزير المفوض الإنجليزى قد أرسل البرقيات اللازمة للسلطات المختصة بعدم حماية الشيخ جمال ، فإنى سأنتظر فى هذه الحالة ريثما ترسل لندن أوامرها بعدم الحماية لسفيرها فى إستانبول حتى يمكن اتخاذ خطوات فعّالة من أجل القبض على الشيخ جمال وشركائه وإرسالهم إلى بلاد فارس .

وفضلا عن ذلك فإننى لم أكفّ بعدُ عن التحدث بهذا الشأن إلى جلالة السلطان .

الرسالة الثانية

فى ٢٣ مايو ١٨٩٦ م - ١٠ ذى الحجة

بالنسبة للشيخ جمال فقد بذلت أقصى جهدى لكى يسلّمه العثمانيون لحرس الحدود الفارسى. وعن طريق رئيس الوزراء (العثمانى) وغيره من الطرق قمتُ بإطلاع جلالة السلطان على الاضطرابات التى أثارها جمال الدين ولا يزال . وقد قلت لرئيس الوزراء بصراحة :

- إنه طبقا للمادة الرابعة من الاتفاق المبرم بين السفارة وحكومتكم فإن عليكم أن تقدموا لنا كل ما تحتاج إليه السفارة الفارسية من مساعدة فى اللحظة التى تفكر فى تسلّم أحد رعاياها وبمجرد أن تخطركم بذلك.

وليس لدى الحكومة العثمانية أى عذر مفهوم لبسط الحماية على جمال الدين . وقد وافق جلالة السلطان نفسه على تسليمه لنا . ولولا أن هناك بعض الأسباب الخاصة ما أجّل هذه المسألة .

ومن هذه الأسباب أن جلالته يريد أن يكتشف أصدقاءَ جمال الدين كى يقضى على كل خطر وحتى يتم اتخاذ جميع الاحتياطات قبل عملية التسليم .

هذا ، وتقول الشائعات إن مسكن الشيخ جمال يقوم على حراسته عشرون من رجال الشرطة .

الرسالة الثالثة

(بدون تاريخ)

يقوم عزت بك ، وهو ذو تأثير عظيم على السلطان ، بحماية الشيخ جمـال . وليس هناك من فائدة فى الكتابة إلى البـاب العـالى فى هذا الصدد. اطلبوا من منيف باشا [١] أن يرسل فى التوّ برقيات إلى كـاتب السلطان.

وحسب المعلومات الخاصة التى استطعت الحصول عليهـا فإن العثمانيين يعتزمون إرسال الشيخ جمال خارج البلاد على أمل أن يلقى حتفه غيلة على يد أحد الفُرْس . وهكذا تستريح الدولتان منه . وقد وصلنى هذا النبأ من مصدر وثيق وليس من شائعة زائفة .

وعلى هامش هذه الرسالة كتب الشاه (مظفر الدين) :

معالى رئيس الوزراء :

كلّفوا مشير الملك [٢] بأن يدخل فى المفاوضات اللازمة مع منيف باشا ، وارجوه كذلك أن يلتمس الإذن بمقابلتنا قريباً ، فإن عندنا أوامر مهمة نحب أن توجهها إليه .

---

(١) كان السلطان قد أرسل وزيره منيف باشا إلى طهران محملا بالهدايا فى العيد الخمسين لتولى ناصر الدين ، الذى اغتيل عشية وصول الوزير .

(٢) وزير الشؤون الخارجية فى فارس .

الرسالة الرابعة

الاثنين ١ يوليو ١٨٩٦ م - ٢٢ المحرم ١٣١٤ هـ

أطلعت السلطان على الخطاب الخاص بتجديد انتدابى . وقد طلب منى أن أسجل الشواهد التى لدىَّ على اشتراك السيد جمال الدين فى موضوع اغتيال الشاه . وقد أجبت بأن ذلك الأمر لا يعنينى وأنه بالنسبة لتسليم رعايا بلدينا لم تجر العادة قط بالمطالبة بتقديم الأدلة على ضَلَعهم فى الجريمة . وقد أُذن لى بمقابلة السلطان يوم الجمعة صباحاً حيث جرت مناقشة هذا الموضوع فى جلسة خاصة .

وعقب هذه المقابلة وعدنى رئيس الوزراء بتسليم جمال الدين إلى السلطات الفارسية ، مضيفا أن تأخير هذا الأمر ثمانية أيام أمر لابد منه ، وذلك لأسباب لابد من أخذها فى الحسبان ، كيلا يتمكن هذا الرجل الشرير من الهروب .

الرسالة الخامسة

١٠ يوليو ١٨٩٦م ـ آخر المحرم ١٣١٣ هـ

بالنسبة لموضوع الشيخ جمال كان رئيس الوزراء يقول لى إنهم يفكرون فى الباب العالى وإن فى فارس ما يقرب من ألف من المشاغبين العثمانيين وإنهم يقيمون هناك منذ وقت طويل ، ومن ثم يجب على الحكومة الفارسية أن تقوم بتسليمهم .

وعلى هامش هذه الرسالة كتب الشاه (مظفر الدين) ما يلى :

معالى رئيس الوزراء :

حالما تقابل السفير العثمانى أفهمه أنه مادامت الحكومة العثمانية لن تقوم بتسليم جمال الدين فإن علاقات الود بين بلدينا ستكون مستحيلة ، إذ بعد الجريمة التى اجترحها جمال الدين ، وبعد الاضطرابات التى أشاعها فى شؤوننا ، وبعد رفض الحكومة العثمانية تسليمه لنا ، فإن من المستحيل استمرار العلاقات الودية بين البلدين .

الرسالة السادسة

١٠ يوليو ١٨٩٦ م - آخر المحرم ١٣١٣ هـ

طبقا لبعض ما يتردد هنا فإن الشيخ جمال بمجرد وصوله إلى إستانبول أخذ يبذل جهوداً كبيرة كى يسند السلطان إلى مالكوم خان منصب وزير المالية ، ولكن كل هذه الجهود قد ذهبت أدراج الرياح .

والواقع أن الشيخ جمال مرغم على العودة إلى بلاد فارس ، وسيكون من النتائج الطيبة لذلك تثبيط بعض جهّال العلماء الجشعين الذين يعتمدون على نفوذه عند السلطان من أجل الحصول على بعض المغانم . وفى هذه المؤامرة نراهم قد جعلوا واسطتهم بعض المشايخ الذين يحظون بثقة السلطان .

رسالة بالشفرة

يوليو ١٨٩٦ م - المحرم ١٣١٤ هـ *

هل من صلاحياتى تدبير اغتيال الشيخ جمال على يد بعض الفُرْس ؟

وعلى هامش هذه الرسالة كتب الشاه مظفر الدين الجواب التالى :

« كلا ، إذ يبدو لى هذا الأمر غير مناسب الآن ! »

(*) على رغم أن هذه الرسالة قد كُتبت كالرسالة السابقة فى شهر يوليو ١٨٩٦م ، فإننا نفاجأ بأن التاريخ القمرى قد زاد سنة مع إبقاء الشهر العربى هو هو كما فى الرسالة السابقة . وهذه الملاحظة تنطبق على الرسائل التالية أيضا .

الرسالة السابعة

يوليو ١٨٩٦ م ـ آخر المحرم ١٣١٤ هـ

أخبرت تحسين بك باش ، كاتب السلطان ، بما يلى :

ما من جمعة إلا وأَحْضُر المقابلة السلطانية ، وأنا أنظر إليكم على أنكم أهلى . كذلك فإنى أنتظر أن تتفقوا معى تماماً وألا تعاملونى فى مسألة جمال الدين كأننى طفل فتظلوا تجروننى من الباب العالى إلى القصر السلطانى ومن هذا إلى الباب العالى .

وفضلا عن ذلك فقد طلبت أمس من رئيس الوزراء أن يصارحنى بموقفه من موضوع الشيخ جمال .

فكان جوابه أنه طبقا للاتفاقات والمعاهدات فإن طلبكم تسليمه هو أمر مشروع . ومع ذلك فلكى يرسلوا جمال الدين إلى الحدود الإيرانية لابد من أن يصدر القصر السلطانى الأوامر اللازمة لذلك إلى وزير الأمن .

ومن هنا كان لا بد من استدعاء وزير الأمن ، الذى أخبرنى أنه لا يقدر أن يرسل جمال الدين الى الحدود إلا بعد أن يتسلم الأمر السلطانى .

فأضفت أن هناك أمراً لا أستطيع أن أفهمه . فإذا كنتم لا تستطيعون إلا تنفيذ أوامر السلطان فلماذا لا يلتزم وزير الأمن بها ؟ وإلاَّ فلماذا أحضرتموه إلى هنا ؟ الحق أنه فى مثل هذه الظروف فإنى أفضل الاستقالة من منصبى حتى لا أكون سبباً فى توتر العلاقات بين بلدين مسلمين .

وإذا رفضتم تسليم الشيخ فربما وقعت حوادث وخيمة .

وقد أجاب الوزير قائلا : سوف أنقل إلى السلطان هذا الكلام وأبلغك بجوابه .

وقد جلست بعد ذلك فى البهو الذى ينتظر فيه السفراء وصول السلطان وخروجه إلى المسجد .

وبعد صلاة الجمعة أذن لى جلالته بمقابلته وشرّفنى بقوله :

لايبدو لى مناسباً أن أصدر الأمر بالتسليم الآن ، فهناك فى الواقع بعض الأمور التى لابد من وضعها فى الحسبان .

وبخصوص هذا الشأن سوف يجتمع الوزراء اليوم . وقد طلبت إطلاعى على نتيجة هذا الاجتماع ، وسوف أصدر أوامرى بناء على ذلك .

وعندئذ طلبت من جلالته الإذن بالانصراف .

الرسالة الثامنة

٢٢ يوليو ١٨٩٦ م - ١١ صفر ١٣١٤ هـ

سبق أن سافر جمال الدين إلى بطرسبرج بجواز سفر إيرانى . وكان هذا الجواز قد سُجِّل فى مكاتب القنصلية وكذلك فى مكاتب العُمْدية الروسية . وقد طلبت أن يعملوا نسخة من هذه الوثائق ويرسلوها إلىَّ كى يكون فى يدى دليل آخر على أن جمال الدين فارسى الجنسية .

وإذا كنتُ قد أبديت كثيرا من التشدد فى هذا الأمر فذلك لأن العثمانيين لم يولوه أى اهتمام . ولكن بعد أمركم إياى بعدم الاستقالة ، وبعد رسالة منيف باشا التى أثارت الاضطراب بقوله إن قضية الشيخ جمال ليست بذات أهمية (إلا بالنسبة لى) ، فإنى سأقنع بالخطوات التى اتُّخذت من قبل وبالإجابات التى تم الحصول عليها .

وعلى هذا فإنى منتظر لأرى كيف ستتطور الأمور وما هى أوامرك .

الرسالة التاسعة

٢٢ أغسطس ١٨٩٦ م - ١٢ ربيع الأول ١٣١٤ هـ

جاءت برقيتان من منيف باشا فحركت الاسترخاء الحاصل فى موضوع الشيخ جمال . وقد ذكرتِ الأولى أن مساءلة القاتل لم تأت بأى دليل على اشتراك الشيخ جمال فى عملية الاغتيال .

والحق أننى منذ بداية هذه القضية لم أُلِحّ على هذه النقطة بل على مسألة التسليم نفسها ، تطبيقا للاتفاقات المعمول بها فى هذا الصدد والتى لا تشترط أدلة أو حججا .

أما البرقية الثانية فقد أكدتْ أن جلالة الشاه نفسه لا يعلق أهمية كبيرة على هذه الخطوات . وكان من نتيجة ذلك أننى أنا الوحيد الذى يأخذ هذه المسألة مأخذ الجدّ وأننى أستحق ماكان يمكن أن يحدث لى من متاعب .

كذلك فإننى فى الرسالة التى بعثت بها إلى وزير الشؤون الخارجية قد أعلنت أن وجود الشيخ جمال فى طهران أمر لابد منه لكى يمكن مواجهته بالقاتل . ولكن حسبما جاء فى جواب الوزير المذكور ، فإن القاتل كان مقررا إعدامه فى ١١ أغسطس الموافق للثالث من ربيع الأول .

وهأنذا أرسل إليك نسخة من برقية وزير الشؤون الخارجية لتؤجل عملية الإعدام إذا لم تكن قد تَمّت فعلا .

والواقع أنه ، بعد كل هذه الجهود الكثيرة والمرهقة ، ستكون مكانتنا ومركزنا فى خطر إذا ما تركنا هذا الأمر معلقا .

ثم إننى لا أستطيع أن أباشر مسؤولياتى ثانية إلا فى الظروف التالية :

لابد أن أُعْطَى الضمان وصلاحية التصرف فى حدود ما يبدو لى عادلا ، وكذلك الإذن بمغادرة إستانبول (فى الحال) إذا دعت الضرورة.

كذلك فإنه من المناسب أن توقفوا كل تعاون بينكم وبين السفارة (فى طهران) وأن تبعثوا إليها بالشكاوى وأن تلحوا بقوة عليهم كى ينقلوا عن طريق الرسائل موقف الحكومة الإيرانية الحازم فى موضوع تسليم الشيخ جمال .

ولابد من إرسال رسائل الاحتجاج إلىّ بين الحين والآخر تلوموننى ، فى الظاهر ، على أنى لم أحقق شيئا من تعهداتى .

وتستطيعون كذلك عند اللزوم أن ترسلوا وحدات من المشاة والفرسان إلى الحدود . والواقع أنه لو وضعت بعض الوحدات فى مكان أو مكانين فإن القائم بالأعمال العثمانية سيضْطَرّ إلى أن يرسل هنا كثيرا من التقارير أو أن يجد السلطان نفسه مرغما على أن يطلب من جلالة الشاه ألا يلحّ فى هذه المسألة أكثر من ذلك . وعند ذلك سيكون مركزنا فى مأمن ويُسْجَن جمال فى مكان ما وتبقى مكانتنا سالمة لا تُمَس ، وبدون ذلك فلن يتحقق شىء مما نريد .

رسالة بالشفرة

٢٢ أغسطس ١٨٩٦ م - ١٣ ربيع الأول ١٣١٤ هـ

معالى رئيس الوزراء :

وافق أخيرا جلالة السلطان على تسليم الشيخ جمال لنا . وهو يريد القبض عليه وإرساله مخفورا إلى بلاد فارس . وفى رأيه أنه لابد من وضعه فى السجن كى تُستطاع مراقبته .

أرجو أن يصلنى الرد على هذه البرقية فى أسرع وقت ممكن .

الرسالة العاشرة

سبتمبر ١٨٩٦ م - ربيع الأول ١٣١٤ هـ

بعد أن تسلمتُ برقيات معاليكم قابلتُ رئيس الوزراء العثمانى وكنت حازما فى حديثى معه إذ قلت له :

« إننى أؤكد لكم على نحو غير رسمى أنه فى حالة الرفض من جانبكم لتسليم جمال فإن الحكومة الفارسية سترى نفسها مضطرة إلى قطع كل العلاقات الدبلوماسية معكم . لقد انتهكتم الاتفاقات المعقودة بيننا من قبل ، ولا أدرى بمقتضى أى شيء ستتصرفون منذ الآن فصاعدا ؟ » .

وكان جواب رئيس الوزراء لى أنه لايوجد دليل كاف يثبت أن الشيخ جمال فارسى الجنسية .

بيد أننى كنت قد كتبت إلى بطرسبرج قبل ذلك ، كما أن معالى عرف الدولة[١] كان قد أرسل إلىَّ وثيقةً قاطعة بجنسية جمال الفارسية ، علاوةً على جواز سفره الفارسى [٢] .

وقد أطلعتُ رئيس الوزراء على كل هذه الأشياء ، فصمت صمت الموافق ، ولكنه أضاف قائلا إن اشتراك الشيخ جمال فى مسألة الاغتيال أمر لايزال يفتقر إلى برهان .

---

(١) السفير الفارسى فى بطرسبرج .

(٢) وبهذا الجواز غادر جمال الدين روسيا بتأشيرة ممنوحة له فى ٢٠ يوليو ١٨٨٨م ، برقم ٧٤٥ _ ٨٨ / ٨١٠٨ ، وذهب إلى ألمانيا . وبالنسبة لجوازات سفر جمال الدين الفارسية الأخرى انظر الملحق فى نهاية الكتاب .

الرسالة الحادية عشرة

٣١ ديسمبر ١٨٩٦ م - ٢٥ رجب ١٣١٤ هـ

يعانى جمال من إصابة خطيرة بالسرطان بحيث لم يعد هناك أمل بالنسبة إليه . وقد قام الجراحون باستئصال جزء من ذقنه مع أسنانه .

وبذلك يكون الانتقام لروح الشاه الشهيد (قدّس الله قبره) قد تمّ، وعوقب جمال الدين على ما اقترفت يداه .

ولهذه الأسباب نفسها لم أعد أرى جدوى من الاستمرار فى المطالبة بتسليمه . لكن موته فى هذه الظروف وبعد الـذى وقع سيكون عظيم الأثر .

سادسا - تقرير الشرطة العثمانية للسلطان بخصوص اشتراك جمال الدين فى اغتيال ناصر الدين شاه

السيد جمال الدين فارسى الجنسية ، وبتحريضه سافر مرزا رضا إلى طهران وقام باغتيال الشاه .

ويقول مرزا أغا خان إن أحمد روحى ومرزا حسن (كبير المُلْك) وعبد الحسين كانوا قد درجوا لبعض الوقت على تقديم بعض المطالب للسفراء الأجانب . وقد جعلوا من الاتحاد المبدأ الأساسى للعالم الإسلامى . ولكى يبلغوا هذا الهدف فقد أرسلوا إلى جلالة السلطان أبرز العلماء وكذلك الشيخ جمال الدين . كما ضمّوا لقضيتهم الأمير شيخ الرئيس والحاج شيخ على .

سابعا ـ تقرير من مديرية الشرطة بباريس عن جمال الدين

(باريس ٢٨ إبريل ١٨٨٥ م)

كان لى الشرف فى أن أنقل إلى السيد رئيس شرطة العاصمة ، فى ١٣ من الشهر الجارى ، بعض المعلومات عن السيد جمال الدين ، وهو رجل أفغانى يشتغل بالصحافة .

وهاهى ذى بعض المعلومات الجديدة التى زودنى بها أحد المخبرين الذين يشتغلون معى بخصوص هذا الرجل الأجنبى :

لقد ترك السيد جمال فى الرابع والعشرين من إبريل الجارى فندق سيز (*Sèze*) ، الذى يحتل المبنى رقم ١٦ فى شارع بنفس الاسم ، إثر مجادلة مع السيد باولينى صاحب الفندق ، واستقر فى اليوم التالى فى رقم ٢٣ بشارع ڤنيون (*Vignon*) فى شقة مفروشة تملكها مدام ماڤلان . (*Mavlin*)

ويبدو أن السيد جمال كان قد اصطحب معه إلى الفندق ، فى الرابع والعشرين من إبريل ، امرأة أجنبية اسمها كاترين ، وأن السيد باولينى قد اعترض على ذلك بحجة أن هذه المرأة عميلة سرية لوزير المالية فى الإمبراطورية الألمانية . ومن هنا جاءت مجادلته مع صاحب الفندق ورحيله عقب ذلك .

وإذا صدقنا ما يقوله صاحب الفندق فإن نزيله القديم كان مشغول الذهن لوقت طويل باسم كاترين ، التى كانت تحاول أن تقيم علاقة حميمة معه . وقد نزل السيد جمال على رغبتها . ومنذ اليوم التالى لارتباطه بها وعلى مدار خمسة أشهر تغيرت طريقة حياته من النقيض إلى النقيض ، فبعد أن كان متحفظا معوزا أصبح منفتحاً كثير الإنفاق .

وتتصف عشيقة السيد جمال بأنها كبيرة الجسم شقراء اللون وفى عز الشباب . ولا شك أنها بروسية الأصل رغم قولها عن نفسها إنها مولودة فى ڤيينا (بالنمسا) . وهى تسكن أحد الفنادق بشارع واشنطون ، ولا يعرف أحد أن لها عشيقا غير السيد جمال .

وهذه المرأة هى التى جعلته يستأنف علاقاته التى كانت مقطوعة منذ وقت طويل مع عدد كبير جدا من الصحفيين الباريسيين ، كما جعلت السيد باولينى يظن أنها لم تسع وراء السيد جمال إلا بدافع المصلحة ، إذ إنه قبيح الشكل لا يعتنى بنفسه ، وموقفه المالى جدّ مزعزع .

وإلى جانب هذا فقد قامت فى مناسبات مختلفة بإطلاع صاحب الفندق وعدد من معارفه المتنوعين على رسائل وبرقيات مرسلة من برلين عليها توقيعات كُتّاب الأمير بسمارك .

ضابط السِّلْم

ثامنا- ملاحظة عن جمال الدين سجلتها خدمات مديرية الشرطة بباريس

(باريس ٢٨ مارس ١٨٨٤ م)

جمال الدين شيخ أفغانى تبحّر فى دراساته فى الهند ، التى عاش فيها ردحا طويلا . وهو ، على خلاف إخوانه فى الدين ، ذو عقلية تحررية ، وإن كان قد قاسمهم لبعض الوقت كراهيتهم واحتقارهم للـ(*Ghioven*) . وقد كان الإنجليز هم أول من اصطلى بنار نشاطه الجهادى فى البداية ، ذلك النشاط الذى لم يتخل عنه منذ ذلك الحين ، إذ لم يجد الإنجليز عدوًا لسلطانهم فى الهند أصلب ولا أشد مراساً منه . لقد أثار عليهم ثائرة التعصب الدينى ، فوقعت بعض الاضطرابات التى لم يكن لها من نتيجة سوى هيجان يمكن أن يصبح خطرا مع الأيام . ويقال إنه ادعى كذلك النبوة كما فعل صديقه أحمد مهدىّ السودان . وكانت السلطات الإنجليزية تجدّ فى البحث عنه بهمة ونشاط ، بيْد أن إخلاص إخوانه فى الدين كفل له الأمن والسلامة ، فقد أخفوه عن أعين الإنجليز وقتا طويلا ويسّروا له الإبحار من الهند سرّا .

ثم ذهب إلى إستانبول ، حيث استُقْبِل بترحاب شديد . وقد تلقاه السلطان عبد العزيز فى القصر بكل احترام . كما أظهر خلفاؤه له نفس الإجلال ، ممنّين أنفسهم أن يستفيدوا من تأثيره على مسلمى الهند ضد

الإنجليز حلفائهم الطيبين ، الذين قاموا بمراقبته فى إستانبول وطالبوا الحكومة العثمانية أكثر من مرة بالقبض عليه أو نفيه ، ولكن دون جـــدوى .

ولسوء الحظ لم يعتّم جمال الدين أن مكّنهم من نفسه ، فقد عُيّن أستاذا فى « مدرسة » ، وذات يوم بينما كان يلقى محاضرة عامة على مشايخ الصوفية « *Softas* » عَرَض فى حديثه لأصول الإسلام، وملأته حماقات أعضاء تركيا الفتاة بالحماسة إلى الحد الذى وصف فيه محمدا بأنه دعىّ وصوّره هو «وسائر الأنبياء على أنهم أصحاب مهنة لا يستفيد منها أحد سواهم » . وكانت فضيحة مجلجلة اهتبلتها إنجلترا لتصوير جمال الدين على أنه رجل خطر ينبغى عقابه .

وقد فر على إثر ذلك إلى فرنسا وقابل فى باريس خليل غانم أفندى ، الذى كان قد عرفه فى إستانبول كاتباً لأحد الوزراء الكبار القدماء ، وهو أسعد باشا (مدير المبعوثين العثمانيين فى باريس) . وكان خليل غانم ، النائب السورى فى مجلس « المبعوثان » ، قد اضطر إلى النفى الذاتى الاختيارى تجنّبا للحبس وربما ما هو أسوأ ، إذ كان موضع سخط لدى السلطان . وقد وضع أعمدةَ صحيفة « الديبا » تحت تصرف جمال الدين ، الذى قام بنشر عدد من المقالات فيها عن أثر الإسلام لا يذكرها المسلمون إلا بمشاعر الفزع والرعب وينظرون إليها على أنها خيانة من واحد منهم . وقد صاح أحد الموظفين العثمانيين الكبار الذى كان مارًا

بياريس وقُرِأت عليه فى ذلك الوقت واحد من هذه المقالات قائلا : « إن هذا الرجل لا يمكن أن يكون مسلما ! » .

ثم عرف جمال الدين مسيو روشفور ، وكان يعطيه فى كثير من الأحيان موضوع مقالة لصحيفة « الإنترنسيچون » . ومنذ النجاحات الأولى للمهدى استيقظت كراهيته للإنجليز على نحو من العنف لامثيل له . ولكى ينجح فى حربه فقد رجع إلى حماسته الأولى للإسلام ، إذ هو الوسيلة الوحيدة للتأثير على أهل السودان ، الذين تختلط عنهم الوطنية بالدين . وقد اتصل بالنبى الأسود بغية التفاهم ، إن لم يكن قد ذهب للقائه فعلا فى معسكره بالسودان . وعلى أية حال فقد أصبح ممثّلَه والمدافعَ عنه فى باريس ، حيث أصدر صحيفة عربية بعنوان « العروة الوثقى » . ونحن مدينون له بما كان اسم فرنسا يتمتع به لدى المهدى من تأثير ونفوذ. ومنذ أيام قلائل أتت رسالة من القاهرة تتضمن أن المهدى ذكر لمبعوثى الجنرال جوردون أنه لن يفاوض الإنجليز أبدا ، على حين أنه مستعد للتباحث مع الفرنسيين حول موضوع السلام . وتضيف البرقية أن فرنسا تدين لمسيو هربان ، رجلها فى الخرطوم ، بالاحترام الذى يكنه المهدىّ لها . ومن المستحيل على مسيو هربان أن يستطيع الاتصال من الخرطوم بالمهدى الذى يقيم فى الأُبَيِّض، ومن ثم فربما كان من الأحرى عزْو التأثير الذى يتمتع به الفرنسيون بين ثوار السودان إلى جمال الدين . وقد ذكرت صحيفة « الإنترنسيچون » منذ بضعة أيام أن مسيو أوليڤييه بينْ ومسيو روشفور الابن قد سافرا لمقابلة المهدى فى معسكره . ولابدّ أن

جمال الدين قد زودهما بالخطابات اللازمة .

كما ذكرت الصحيفة العربية التى يصدرها جمال الدين فى باريس (٦ شارع مارتل) هذا الخبر فى نشرتها ، محاربة منها للإنجليز مغتصبى مصر والسودان وناهبى الخلافة ، ومحاولةً لجمع المسلمين حول المهدى وحثهم على الاعتراف بأنه النبى الذى يأتى على رأس القرن الثالث عشر الهجرى (١٨٨٤م) حسبما جاء فى القرآن . وكانت هذه الصحيفة ترسَل فى طرود إلى بلاد العرب وغرب إفريقيا .

وقد ظهر منها العددان الأولان . وإذا كان هذان العددان قد احتويا على كل مناوشات جمال الدين ضد الإنجليز ، فقد كان الأمر محتاجا إلى كثير من الأعداد لظهور نفس الكراهية تجاه السلطان كما توقع الناس بناء على طبيعة ما ينشره . وهذا الانقلاب يؤيد بقوةٍ صدقَ الشائعات التى كنتُ قد ذكرتها فى تقاريرى عن وجود تفاهم بين السلطان والمهدى .

ومثل جميع الشرقيين يطبق جمال الدين المثل القائل : اليد التى لا تستطيع أن تعضّها بُسْها . وقد رأينا كيف أنه ، فى سبيل كراهيته للإنجليز، قد ضحىّ بكل أفكاره التحررية وعاد مسلماً متحمساً حتى يكون له الحق فى الدفاع عن ثورة المهدى ، بالضبط مثلما كان مفكرا حرًا فى إستانبول . وحالما تنتهى السيادة الإنجليزية فى السودان ومصر فسوف ينقلب كرة أخرى على الأتراك ، الذين كانت مساعدتهم ضرورية لثوار السودان حتى ينتصروا على الإنجليز ، رغم أنها لم تخرج فى ذلك الحين عن كونها مساعدة سياسية محضة . ويبدو أن ما كان يشغل بال المهدى

وجمال الدين وقتها فى سبيل إنجاح هذه السيادة هو قطع السبيل على أى اتفاق بين تركيا وإنجلترا فى مسألة السودان .

ومع ذلك فمن الممكن التساؤل عن الجهة التى كانت توفر المصاريف الكثيرة اللازمة لتمويل الصحيفة العربية التى كان يصدرها جمال الدين . ترى هل كان للمهدى موارد مالية ؟ لا أظن ذلك أبدا .

وثائق متنوعة عن جمال الدين

(مقالات صحفية)

أولا- ذكريات عن الثورة المصرية [١]

ليس هناك من شبه بين عرابى باشا ، رجل الثورة المصرية النَّشط ، ومحمود سامى باشا ، الرجل الذى قاد هذه الحركة ، إلا فى نقطة واحدة، ألا وهى الكراهية التى يكنها كل منهما للإنجليز .

ويبلغ محمود سامى اليوم نحو أربعين عاماً ، وهو من مواليد القاهرة. ولكنه ، على عكس عرابى ، ليس من سلالة الفلاحين . وهو ذو قامة متوسطة ممشوقة ، كما يتمتع بأناقة طبيعية وملامح منتظمة وبشرة فاتحة وعينين زرقاوين ورثهما عن الجنس الشركسى ، الذى تنتمى إليه أسرته[*] ، والذى كان يخرج منه حكام مصر أيام سيطرة المماليك . وهو أحد خريجى المدرسة الحربية بالعباسية ، ويمتلك ثروة طائلة منذ سن مبكرة ، مما أتاح له أن يستمتع طويلا بملذات الحياة . وكان من أثر نجاحاته الكثيرة فى هذا المجال أن لصق به لقب دون جوان . وهو من المثقفين ثقافة واسعة ، وقد طبع ديواناً شعريا بالتركية لم يتورع فيه أن يمجّد ابنة العنب رغم تحريم القرآن لها . صحيح أن الديوان لا يحمل

---

(١) صحيفة « الإنترنسيجون » / الأحد ١٣ أغسطس ١٨٨٢م .

(*) انتقل هذا السطر من موضعه إلى تحت فى نفس الصفحة بالأصل الفرنسى . وقد أخذ ذلك منى بعض الوقت حتى اكتشفته (المترجم) .

عنوان « ساعات السُكْر » كالديوان الذى أصدره أمير الغال (Le Prince des Galles) ، لكن لا أظننا سنكون مخطئين إذا سميناه بهذا الاسم .

وفى رأى أولئك الذين يستطيعون تقويم الشعر فإن أسلوب هذه الأشعار هو أسلوب رائع وينمّ عن معرفة عميقة بالعربية والفارسية ، وهما اللغتان الأُمّان اللتان اشتُقّت منهما اللغة التركية كما هو معروف (*) .

وهذه المعرفة باللغة الفارسية هى التى جعلت إسماعيل باشا يختار محمود سامى لتدريسها لابنه الأكبر الأمير محمد توفيق ، الخديوى الذى يحكم البلاد حاليا . وقد ربطت المودة الوثيقة زمنا طويلا بين الأستاذ والتلميذ ، اللذين تفصل بينهما الآن فجوة عميقة . ولا ريب أنه بسبب هذه المودة السابقة وربما أيضا لأن محمود باشا مرتبط مع الوالى من جهة زوجته ، فإن الخديوى يكن له كراهية أعنف من تلك التى يشعر بها تجاه عرابى .

وفى نفس الوقت الذى كان يتولى فيه محمود سامى المناصب العسكرية كانت تُسْنَد إليه دائما الوظائف المدنية المختلفة . وعند ارتقاء الخديوى الحالى سُدّة الحكم كان مديرا لشرطة العاصمة . وفى هذه الفترة أصبح أميرالايا ووزيراً للأوقاف فى نفس الوقت .

وإدارة الأوقاف من أهم الإدارات فى البلاد الإسلامية . والوزير الذى

(*) يوجد هنا أيضا اضطراب فى موضع بعض السطور (المترجم) .

يتولى هذه المصلحة هو فى الحقيقة القيّم على الأملاك المحبوسة التى وصّى أصحابها من المحسنين الورعين بأن يُنْفَق ريّعها على المساجد والمدارس والملاجئ ودور الضيافة .

وفى بعض الأحيان يُنْشَأ الوقف لمنع الورثة المبذّرين من تبديد الثروة وتدمير مستقبل ذريتهم من ثَمّ . وفى كل الأحوال فإن وزير الأوقاف هو بحكم القانون القائمُ على تنفيذ وصايا الواقفين ، فهو يعمل على أن يحترم المنتفعون شروط الوقف ، وفى حالة انتهاك الأوصياء لأىّ من هذه الشروط يكون من حقه تعيين أشخاص آخرين يضبطون ريّع الوقف .

وعندما ينقرض الورثة فإن وزارة الأوقاف ترث أصحاب الحق فى الانتفاع ويؤول إلى الوزير ، بهذه الصفة ، حق الانتفاع وملك رقبة الأموال ، التى يقوم بإنفاقها على المدارس ودور الضيافة أو المساجد المحرومة من الدخل أو التى لايكون لها دخل كاف .

ويُفْهَم بسهولة مما سبق مدى النفوذ الذى يتمتع به متولى هذه الوزارة التى لا تخضع ميزانيتها (وهذه ملاحظة عابرة) لمراجعة المراقبين الإنجليزى والفرنسى بسبب الطبيعة شبه الدينية لهذه الإدارة .

ولأن محمود سامى كان على رأس مصلحة ذات طبيعة معقدة ولها صلة بالشعائر الدينية والتعليم العام والمالية والعدالة ، ولأنه إذا صح القول كان المسجل الإلزامى القائم على إدارة عدد ضخم من الأملاك المستقلة

والمشاعة ، كما أنه بمعنى من المعانى كان هو الوزير الوطنى الوحيد مادام هو وحده الذى لم يكن عليه أن يعرض ميزانيته على المراقبة الأجنبية ، فقد ازدادت الأهمية التى أضفاها عليه هذا الوضع الاستثنائى فى مصر ، وذلك من خلال وسيلة فعّالة يقدم بها لأهل بلده جاذبية جديدة تماماً ويتسلط على خيالاتهم بطريقة غامضة وخارقة للطبيعة .

وفى أواخر حكم إسماعيل باشا وفَدَ للإقامة فى مصر رجل غير عادىّ بأى معنى من المعانى من أصل أفغانى يدعى جمال الدين . وكان قد طُرد من كابل ، حيث كان فى صراع مع الموالين لإنجلترا عقب طائفة من الوقائع السياسية التى أتت بهم إلى سدّة الحكم ، فانتقل إلى الهند ، حيث أزعجت تصرفاته السلطات الإنجليزية ، التى أبعدته لخوفها بحق من خطورة نفوذه بين مسلمى البلاد على السيطرة البريطانية هناك.

ذهب جمال الدين إلى إستانبول ، وعن طريق أعضاء جماعة «تركيا الفتاة» ، الذين كان على صلة بهم ، أصبح عضواً فى الماسونية . وقد نجح النفوذ البريطانى هناك أيضاً فى إبعاده فلجأ إلى مصر ، وهناك أسس محفلا ماسونيا ضمّ حوالَىْ ثلاثمائة عضو . وإذا كان لم ينتج عن هذا المحفل حزب مكتمل النمو فقد خرجت منه نواة حزب سُمّى هو أيضا بـ « مصر الفتاة » . وكان لهذه الجماعة أيضا صحيفة تحمل نفس الاسم وتصدر ، بكل جدارة ، بالفرنسية والعربية . وكانت عناصر الجماعة من التباين ، وأصولها ومصالحها ووجهات نظرها من الاختلاف،

بحيث لم تلبث أن انحلت . وقد استسلم أولئك الأعضاء المشرقيون ، أو بالأحرى المنتمون إلى الطوائف النصرانية فى مصر أو سورية ، لفكرة المشاركة فى حركة سياسية . أما الأعضاء المسلمون فسرعان ما وجدوا أنفسهم داخل الحزب الوطنى .

ولم يكن جمال الدين فقط أحد الذين يتحدثون عدة لغات بطلاقة ممن يعجّ بهم الشرق ، بل كان يجمع أيضا كل الشروط التى يمكن أن تجعل من الشخص زعيما حزبيا . وإذا كان قد انهمك فى البداية ، أثناء فترة شبابه ، فى الحروب الأهلية التى مزقت القبائل الأفغانية ، فقد حصّل خلال أسفاره الكثيرة معرفة أرقى مما عند غالبية الشرقيين ، الذين تخلو بلاغتهم المزوقة ولغتهم الرنانة من ذلك إلى حدّ ما . ولم يكن فى الأزهر ، تلك الجامعة الإسلامية العظيمة، أحد يضارع فى موهبة الخطابة هذا الأفغانى ، الذى كان يتحدث العربية على نحو مصفّى وكأنه أحد أبناء مكة .

وتعلم جمال الدين فى الهند لغة الغزاة ، التى درس فى نصوصها الإنجليزية فلسفة الإغريق . ومن خليط المذاهب الأفلاطونية وكتب الشرق الأقصى المقدسة تكونت له فلسفة انتخابية أخذ يعلمها لتلاميذه . والحق أن جمال الدين كان يشبه الفلاسفة المحترفين الذين عرفهم التاريخ القديم . لقد كان يعلّم ، أو بالأحرى كان يبشّر فى أى مكان تسوق إليه المصادفة بعض المستمعين : فى بيته ، أو فى بيت صديق له ، أو فى ركن

أحد المساجد ، وأحيانا فى الميادين العامة . ولكن تحت زى المدرس كان يكمن الخطيب الثائر .

لقد كانت أحاديثه الفلسفية تنقلب فى معظم الحالات إلى خطب سياسية مستفيضة . ولم يكن يشرع فى الكلام عن حرية الإرادة الإنسانية إلا وينتهى بالحديث عن الحكم الذاتى .

* * *

هذا هو الرجل الذى أدخل محمود باشا سامى فى الماسونية ، والذى جعله يلمح فى تغيير المؤسسات السياسية فى مصر دوراً كبيراً لمن يستطيع الاضطلاع به . وقد فهم محمود عنه ، بيد أنه لم يكن يعتقد أن الساعة قد حانت ، ومن ثم بقى فى الظل تاركاً بل دافعا إلى الصف الأول إحدى الشخصيات الكبيرة المنتمية للطبقة الراقية من أبناء الشعب . ألا وهو شريف باشا الوزير القديم الذى كان يظن بحسن نية ولوقت طويل أنه زعيم الحزب الوطنى ، متصورا أن كل المطلوب لذلك هو أن يكون عدوًا للمراقبة الإنجليزية الفرنسية. وبهذه الطريقة من التفكير كان الخديوى إسماعيل هو أحق الناس بزعامة الحزب الوطنى ، إذ لم يكن هناك من يضاهيه فى عداوته لتلك المراقبة .

لقد كان جمال الدين يريد أن ينشئ نظاماً نيابيا وأن يضع حدًا لحكم الخديوين المطلق . ولم يكن يثق فى الخديوى الجديد بتّة . ذلك أن شبابه وما كان يوصف به من لطف ودماثة لم يقدّما للفيلسوف الأفغانى أية ضمانة بالنسبة للمستقبل . وعلى هذا فإن الحملة التى كان قد شنّها

على الوالد ظل يشنها على الابن بعد خلع إسماعيل باشا .

وذات مساء ألقى الأفغانى بحضور أربعمائة شخص احتشدوا فى مسجد حسن (كذا) خطابا ملتهبا تنبأ فيه ، بإلهام صادق ، بالهدف النهائى للسياسة الإنجليزية على ضفاف النيل ، وذلك قبل تحقق هذا الهدف بثلاث سنوات .

كذلك فإنه فى نفس الخطاب قد صور الخديوى توفيق بأنه ، شعر أو لم يشعر ، مرغم على خدمة المصالح الإنجليزية . ثم أطلق فى نهاية حديثه صيحة الحرب ضد الأجانب ، داعيا إلى الثورة دفاعًا عن استقلال مصر وحمايةً لحريتها .

* * *

وبناء على طلب القنصل الإنجليزى العام فى مصر فقد قُبِض على خطيب مسجد حسن بعد يومين ووُضِع على ظهر إحدى السفن التى أقلته إلى جدة على ساحل بلاد العرب .

وقد انسحب جمال الدين الى داخل الحجاز ولم يعد أحد يسمع به . ولكن بعد ستة أشهر فقط من نزوله من السفينة هب العرب ضد الحكم التركى محاولين الحصول على الاستقلال .

وإذا لم يقدر لجمال الدين أن يموت كجندى مغامر فى ميدان من ميادين القتال المجهولة فى آسيا أو يُسَمَّ فسوف يظهر ثانية عما قريب ،

وسوف تقر إنجلترا ، التى أقسم على محاربتها حتى الموت ، بضرباته التى سيوجهها إليها . ولكن أين ياترى ؟ قد يكون ذلك فى الهند ، لأنه كان قد ترك مهمة الانتقام ومواصلة عمله فى مصر إلى محمود باشا سامى ، الذى عرّفه بالقدرة العملية للجمعيات السرية فى بلد خاضع لحكم يقوم على العسف وإغلاق الأفواه .

وبنفس الطريقة التى جنّد بها جمالُ الدين وزيرَ الأوقاف فى الحزب الثورى من خلال الماسونية قام هذا بتجنيد قواد الجيش . وبذلك فإن ما بدأه الفيلسوف الأفغانى بالكلام قد أتمته كتائب الفلاحين المصريين التى كان يوجهها فى الخفاء سليـل المماليك .

إرنست فوكلان[1]

---

(١) إ . فوكلان هو أحد محررى الإنترنسيچون . وتدل مقالاته على أنه مفكر حرّ يعارض رجال الدين بعنف . وهو يعادى السياسة التى تنتهجها إنجلترا فى مصر ، ويوصى فرنسا باتباع سياسة مستقلة نحو ذلك البلد .

وفى أثناء مُقامه فى مصر كان يكافح بقوة فى هذا الاتجاه ، ويتعاون مع الوطنيين المصريين المعادين للإنجليز ، مما أدى إلى إبعاده عن البلاد .

وهذا المقال المنشور هنا هو الثانى فى سلسلة مقالات عن الثورة المصرية وتمرد عرابى (انظر صحيفة " L' Intransigeant " / ١٠ و ١٣ و ١٦أغسطس ١٨٨٢م) .

ثانيا - رسائل من إستانبول

(من مراسلنا الخاص)

(إستانبول / ٦ يونيه)

لقاء مع جمال الدين

يظن الناس أن الشيخ جمال الدين صاحبَ الشهرة الواسعة رجل يصعب لقاؤه ، فالاتهام الصحيح تقريبا الذى يلازمه منذ موت الشاه ، والكراهية التى تطارده ، والشرطة التى تقفو أثره وتتجسس عليه ، كل ذلك يبدو وكأنه قد جعل بينه وبين العالم حجابا . ومع ذلك فقد وُفِّقْتُ فى محاولة الالتقاء به . ولا بد لى ، فى الواقع ، من الاعتراف بأنه لم تقابلنى فى هذا السبيل أية صعوبة البتّة .

وينزل جمال الدين ضيفا على الخليفة ، ويسكن فوق هضبة نيشان طاشه ، التى تتحكم فى أجمل الأودية وتشرف عليه من علٍ . أقصد سهل يلدز . وهو بذلك أقرب الجيران لرئيس الوزراء ، وليس حوله فى هذا الحى الذى يسكنه الباشوات إلا ذوو الحظوة .

وفى نهاية قطعة أرض واسعة تمتلئ بالكلاب الضالة وجدتُ بابه الكبير مفتوحا . ولم يكن فى الاستقبال الودود من جانب بعض الخدم لى أى شىء ينم على الارتياب . وفى البهو ، حيث اصطف اثنا عشر زوجا من الجراميق الجلدية مما يدل على وجود عدد كبير من الزوّار ، كانت

كل الأبواب المفتوحة على مصراعيها تسمح برؤية الغرف من الداخل . وكان صوت رب البيت يأتى من الطابق الثانى عبر السلالم الخشبية مجلجلا . ولم يكن هناك ذلك الغموض الذى يبحث الناس عنه فى البيوت الإسلامية وهم يخافتون من وقع أقدامهم .

غير أن هذا ليس منزلا عاديا ، فنحن الآن عند عالم من علماء الإسلام ذائع الصيت فى بلاد العرب ومصر وفارس والهند وجميع البلاد التركية وغيرها ، حيث نشر بصوته الصاخب الأفكار العنيفة وألقى بفتات من العلم الشرقى الهائل الاتساع . ويفاخر هذا الرجل الذى كان يعمل مستشاراً لأكبر عاهلين من عواهل الشرق والذى يُعَدّ أستاذاً للصفوة فى مصر بأنه قد ساعد رينان على فهم الإسلام ، وكذلك لم يبال بأن يتلقب بـ « الفيلسوف » فى مجتمع يُعْتَبر فيه ذلك اللقب رمزاً على أشد ألوان التمرد على الذات الإلهية ، بالضبط كما كان الحال فى فرنسا النصرانية قبلا . ترى مالذى يمكن أن يخفيه فيلسوف حقيقى فى منزله ؟ أيكون ذلك هو ما يضرب حوله أشد الرجال الشرقيين انفتاحاً بالأسداد والأَسْيجَة والستائر الغليظة ؟ بيّد أن جمال الدين رجلٌ عَزَب ، مما يعد أمراً غريبا فى بلاد الشرق . كما يقال عنه إنه ماسونى ، وهو أمر أقل غرابة ، إذ أستطيع أن أعدّ أيضا شيخ تكية الدراويش المولوية الراحل ، فقد كان عضواً فى أحد محافل بيرا (*Pera*) .

وكان جمال الدين جالسا فى ردهة كبيرة على كرسى ذى مساند من الكريتون القطيفة ممّا تزوّد محلاتنا الكبرى بطرازه ثلاثة أرباع الكرة

الأرضية. وقد أخذت الصبغة الشرقية بثأرها فى مجال الزىّ ، إذ كانت تتوج ثوبَ الشيخ عمامةُ العلماء البيضاء الرقيقة ، كما كان سرواله الجوخ الرمادى الواسع يهفهف حول ساقيه. كذلك كانت رقبته تطل من قميصه الذى لا ياقة له والذى يعد ملبسا تقليديا فى أرجاء إستانبول ، حيث يلبسه الناس على الطريقة التركية . شىء واحد كان يذكرنا بإقامة جمال الدين المتكررة فى عواصمنا الباردة . ألا وهو خُفّه المبطّن بالفراء . وفى الطرف الآخر من الردهة كانت توجد نصف دائرة من الكراسى التى يشغلها أناس من مختلف الأجناس : فهذا هندى ، وذاك أفغانى ، وذلك عربى ، وبجواره ضابط تركى وآخرون . وهؤلاء هم بعض حوارييه . وقد شعرت بالخجل عندما قدّمونى إلى أولئك القوم فتوقف الأستاذ عن الكلام وماتت على شفتيه هذه الحقيقة التى لا أستطيع أن أحبها ولا أن أفهمها . وقد استقبلنى الفيلسوف مع ذلك بمودة بالغة . لكنه ، بسبب ما قاساه على أيدى الصحفيين، كان حذرا معى . ويسرنى الآن أن أعيد عليكم بعضاً من جوامع كلمه خِصِّيصَى لأولئك الذين يسيئون استعمال اللقاءات الصحفية :

« ينبغى أن يقول الإنسان ماسمعته أذناه وألا يقول شيئا سواه . إن الذى لا يقول الحقيقة أقل من أن يكون إنساناً بل لا شىء فيه من الإنسانية » .

وبينما كان يتحدث لم أتعب أنا من دراسة سحنته العجيبة المشعة بالذكاء . وكانت ملامح آسيا الوسطى بارزة إلى حد مدهش حتى فى إستانبول . وكان الوجه أصفر . وكذلك مآقى العين ومينا الأسنان كانت

كلها صفراء ، لا كالعاج الصينى أو شمع العسل العربى بل كالتماثيل الخشبية القديمة المنطفئة اللون . ولا بد أن يكون جمال الدين أفغانيا كما يقول ، فهو ربع القامة ، قوى العنق ، صغير اليد سمينها ، مدبّب الأصابع . وله قدما نمر تتسم حركاتهما بالشراسة فى نوبات الغضب التى يسببها له اسم بلاد فارس وهو يصيح به بذلك الصوت المعدنى الذى بوغتُّ به منذ وضعت رجلى على عتبة الباب والذى لابد أن تكون المساجد الكبيرة التى كان يلقى فيها بدروسه قد ارتجت منه وقتا طويلا . لعنات متراكبة بعضها فوق بعض ! لقد كان يقرقع بصوته قائلا : « إننى أريد حريقا ، بل طوفانا ، بل ماهو أسوأ من ذلك : زلزالا يدمّر فارس ذلك البعد العفن ، وحكامه الغجَر ليختفيا إلى الأبد » . وأمام هذه العاصفة الانفعالية طأطأ الحاضرون جميعاً رؤوسهم ولم يرفعوها إلا عندما هدأ جمال الدين وأخد يقصّ علينا فى رقة شديدة أحداث حياته الغريبة : حياة نبىّ إسلامى . وشرع يتكلم الفرنسية ، التى لم يكن يعرف منها إلا بضع كلمات يستعملها بمهارة فائقة . وكان قد قابل بالمصادفة البحتة فى ميونخ ، أثناء جولته ببلاد أوروبا ، صديقه وسيده القديم ناصر الدين ، الذى كان عائدا من زيارته لمعرضنا العالمى . وسأل الشاهُ العالمَ الدينى : « ماذا تفعل هنا وسط أولئك الكفرة ؟ تعال معى . لقد رجعت من فرنسا وفى نيتى إدخال القوانين فى بلادى ، وسوف تساعدنى فى صياغتها » . وهكذا ذهب جمال الدين إلى بلاد فارس فى معية الشاه . ولكن بينما كان جمال الدين وفيّا لفكرته كان الشاه تحت تأثير رجال الدين الرجعيين قد نبذ ما كان قد انتواه . وتكوّن آنذاك حزب دستورى ربما كان ناصر

الدين يريد أن يكون رئيسا له . وقد ضمّ هذا الحزب ، إلى جانب جماهير الشعب ، عددا كبيرا من الأمراء والأميرات ذوى الدم الملوكى . وقالت إحدى هؤلاء الأميرات لجمال الدين ذات مرة : أيها الشيخ ، صُغْ لنا القوانين ، فإنى أنا نفسى التى أحبّ خيولى حبا جما لاأستطيع أن أمنع ناظر أملاكى من سرقتها .

ومع ذلك فقد أحدثت دروس جمال الدين صدعاً فى التراث الاستبدادى لعواهل فارس . ورأى ناصر الدين أن ما شاهده من الفيلسوف كان أكثر من اللازم فأمره بمغادرة البلاد من جهة الخليج الفارسى ، وهو أطول الطرق وأقلها حظا من الارتياد . وكان جمال الدين قد رأى أن الحذر يوجب عليه الفرار ، لكنهم أدركوه . وقد وضعوه ، وهو مريض ممزقُ الملابس ، فوق ظهر حصان وساقوه مخفورا إلى البصرة حيث ذهب من هناك إلى بغداد ثم إلى إنجلترا . أما الحزب الذى أسّسه فقد تم القضاء عليه بعد رحيله .

وكان جمال الدين فى لندن عندما دعاه السلطان مرتين ، من خلال سفيره هناك رستم باشا ، إلى الذهاب إلى إستانبول فقبل فى المرة الثانية .

وقد استُقْبِل هناك أفخم استقبال ، وعُرضت عليه المناصب والنياشين ، ولكنه رفضها جميعاً . وهو حتى هذه اللحظة ، وبعد أن قضى شطرا من حياته بين رجال البلاط عند عدد من ملوك الشرق حيث الفخامة والأبهة ، ليس عنده أى وسام يتزين به أو لقب يضيفه إلى اسمه ،

اللهم إلا لقب « الفيلسوف » ، الذى يعتز به كثيرا ولا يفكر فى سواه .

ولكى أبيّن للقراء مدى الأهمية التى يعلّقها السلطان على وجود جمال الدين فى تركيا أرانى مضطرا إلى نسيان المبدإ الذى ينادى به فيلسوفنا وأقول مالم أسمعه بأذنى من فمه . فعبد الحميد ، وهذا هو أعظم جوانب مهارته وأقلها لفتا للانتباه ، يريد قبل كل شىء أن يكون خليفة للمسلمين ، إذ إنه بفضل هذه الخلافة قد ظلّ ، رغم معايب حكمه ، إمبراطور العثمانيين الذى لا يُنافَس . وعلى هذا فلكى يبسط سلطانه الدينى ويستأنف المشروع الذى كثيرا ما داعب خيال أسلافه وخياله هو نفسه ، فإنه لا يستطيع الاستغناء عن الرجل الوحيد الذى يتمتع بصلات قوية مع الشيعة والسنّة معا فى غرب العالم الإسلامى . وفى الواقع فإن جمال الدين قد نجح ، فيما يبدو ، عن طريق الإقناع فى عمل ما لم تستطعه القوة ولا الأحكام الشرعية ، فبينه وبين أحد الأئمة الكبار وعدد من مشاهير العلماء مراسلات مستمرة . ولكن على عادة الشرقيين فإنه ما إن تبدأ مناقشة من المناقشات حتى يطول الكلام ويستمر دون الوصول إلى قرار على الإطلاق .

ومع ذلك فإن جمال الدين كان يتحدث دائمًا دون حاجةٍ منّى إلى حثه على ذلك :

« انظر إلى أصدقائى هؤلاء (قال هذا وهو يشير نحوهم بإصبعه ويقدمهم لى واحدًا واحدًا بألقاب فضفاضة) . إنه لايوجد بينهم فارسى

واحد ، فالفرس لا يأتون هنا . ثم ماهى علاقتى بالقَتَلة ؟ صحيح أننى أعرف شخصا اسمه مرزا رضا . إلا أن « مرزا » هو أحد الألقاب الشائعة جدا ، و « رضا » هو اسم أحد الأولياء الذى يحمله الآلاف فى فارس وغيرها من بلاد الإسلام .

« ثم هل هذا المرزا هو المجرم الحقيقى ؟ إننى أجهل ذلك بل أشك فيه . وتستطيعون أن تحكموا بأنفسكم من خلال تاريخ حياته : فبعد رحيلى عن طهران قُبض على عشرة من كبار التجار من مشايعى القوانين التى كنت أدرِّسها وربطوا فى سلسلة واحدة . وفى طريقهم إلى السجن استطاع أحدهم أن يستل خنجره من منطقته ويشق بطنه . وقد خِيطَ الجرح خياطة رديئة وأُلقى بالرجل فى مُطْبَق حيث شُفى بعد قليل ، لكن لم يَصلُح حاله . وما إن أُطلق سراحه حتى تفوّه بكلام يفتقر إلى التبصر ذاق بسببه أشنع ألوان العذاب فى غيابات السجون حيث يهلك الإنسان عفناً ويأساً . وقد أنقذت شفقة أحد الوزراء البقية الباقية من هذا الرجل الذى استطاع أن يفلت ببعض المال ويأتى إلى إستانبول حيث وجدته ذات يوم أثناء نزهتى حطاماً إنسانيا يائساً شبه مشلول ولا يستطيع إلا بشق الأنفس أن يمد يده متسولا . وقد بعثت إليه بطبيب نجح فى إدخاله المستشفى الفرنسى بعد أن كان ميئوسا من علاجه . وبعد شهرين غادر المستشفى ، وكان ذلك فى فبراير الماضى ، قائلا إنه لا يمكنه البقاء فى مدينة مملوءة بالكفار، ومن ثم انتقل إلى الجنوب حيث لم أعد أعرف عنه شيئا .

« ترى هل ذهب إلى طهران وقتل الشاه انتقاماً لما ذاقه من العذاب ؟ إن هذا لو حدث لكان معجزة ، إذ كيف يستطيع الرجل الذى لم يكن يقوى على رفع فنجان إلى شفتيه أن يحمل سلاحاً ؟ بل كيف يستطيع رجل مثله كان تاجراً من قبل مسالماً أن يستعمل مسدساً ؟ وأخيراً كيف يستطيع هذا الهارب الذى أشفق الناس عليه فأوصلوه بالأمس القريب إلى الحدود وهو لايستطيع استعمال إحدى ساقيه أن يجر نفسه مسافة ربع كيلو متر داخل بلاد فارس دون أن ينكشف أمره ويُقْبَض عليه ؟ ثم هل أنا من الغباء بحيث أستعمل كائناً أبله كهذا لبلوغ مثل هذه الأهداف ؟ هل أنا مجنون ؟ هل أنا قاتل ؟

« أقولها مرة ثانية : إن قاتل الشاه لا يمكن أن يكون هو مرزا رضا الذى يعتقدونه إلا إذا حدثت معجزة .

« لا تظنوا أننى مجرم خائف يحاول الدفاع عن نفسه . إننى لا أخاف شيئاً ، فقد أصبحت أكره الحياة منذ أكثر من عشرين عاماً . وسواء عندى عشتُ أو متّ . إننى أعشق الحقيقة عشقا جارفا . ولو أنكم عشتم معى ساعة واحدة لاطلعتم على أفكارى ولكرهتم الحياة مثلى » .

وبينما كان جمال الدين ماضيا فى حديثه كنت أنا قد شربت كثيراً من فناجين الشاى الفارسى اللذيذ المعطر بشذا زهرة البرتقال ، ودخنت عدداً كبير من لفائف التبغ الرائعة .

وكان هناك عيب غربىّ صغير يكمن لجمال الدين فى السلم حيث اصطحبنى ، إذ وجه كلامه إلىّ قائلا : « يمكنك أن تنشر كل ماسمعته، بل وأن تصف شكلى وملابسى وإشاراتى إذا كان هذا يرضيك . هذا إذنٌ منى لك » . أما أنا فأرجو ألا أكون قد أسأت استعمال هذا الإذن .

صحيفة « الطان » / ١٤ يونيو ١٨٩٦ م

ثالثاً- تسليم جمال الدين

التآمر على المصلح

أبلغتْ وكالة هافاس الصُحُفَ أمس بأشد الأنباء إثارة للدهشة ، ألا وهو أن الحكومة العثمانية ستبعد الشيخ جمال الدين الأفغانى المعروف طبقا لطلب بلاد فارس .

ففى أعقاب اغتيال الشاه ناصر الدين تكونت ضد المصلح الإسلامى العظيم عصابة من المتآمرين متهمةً إياه لا بالتواطؤ فى الاعتداء على المستبد الفارسى الراحل فقط ، بل والتحريض على ذلك ، ومؤكدةً أنه هو الذى قدّم السلاح للقاتل مرزا رضا .

والواقع أن جمال الدين ليس بريئا من التواطؤ فى جريمة القتل فقط ، بل إن مرزا رضا أيضا ليس هو قاتل العاهل الفارسى .

واليوم بمستطاعنا الردّ على هـذه الشائعات الخبيثة التى تتناولها الألسن ، وذلك من خلال التفصيلات الدقيقة الدامغة .

جمال الدين وشاه فارس الراحل :

كان جمال الدين على شاطئ الخليج الفارسى حينما بلغه من الشاه المتوفَّى دعوة ملحة للتوجه إلى طهران ، فاستجاب الشيخ لها . وعند وصوله استُقبل استقبالا ملوكيا وأكثر ، وزاد رجال الحاشية على سيدهم فى

ملاطفته والترحيب به . وعلى الفور أخذ أهالى طهران وأعيانها يتقاطرون على بيت الشيخ .

بيّد أنه من غير المستطاع أن يكسب الإنسان شعبية فى بلد يخضع للاستبداد المطلق دون أن يدفع ضريبة لذلك . وقد أحس جمال الدين بتغير ملحوظ من جانب الشاه ، فاستأذن بالرحيل واتجه إلى روسيا حيث أقام لبعض الوقت .

ثم حدث أثناء ذهاب الشيخ المصلح لمعرض باريس أن التقى فى ميونخ بناصر الدين ، الذى ألح عليه ثانية أن يصحبه إلى عاصمة ملكه ، ولم يستطع الشيخ أن يرفض مثل هذه الدعوة . وفى هذه المرة أيضا كان الترحيب به فائقاً الحد . وبرغم انقطاع جمال الدين إلى العلم والفلسفة وعزوفه عن خوض غمار المعارك السياسية وتوجيهه كل جهوده إلى نشر أفكار التقدم فى هذا الوسط الرجعى ، فقد كان فى نظر الوزراء ، وعلى رأسهم الوزير الأول ، شخصاً مزعجاً يعيبه قول الحقّ ، وينبغى من ثم التخلص منه بكل السُّبُل .

وفى ذلك الوقت اضطر ناصـر الدين إلى النزول على إرادة الرأى العـام ، الذى كان يطالب بتقييد الملكية المطلقة عن طريق القوانين ، فناط بجمال الدين صياغتها فى شكل مدوّنة . بيد أن التشريع وحده لايكفى ، إذ لا بد من تهيئة الأذهان الرجعية لقبول التجديدات المبتغاة . وكان هذا عملا شاقا . ولكى يؤديه جمال الدين كما ينبغى أخذ يعقد سلسلة من

المؤتمرات فى مسكنه ذاته . والحقيقة أن قاعدة « السكوت من ذهب » لا تنطبق على أى مكان قدر انطباقها على بلاد الشرق ، فإن الشاه ، الذى لم يكن متعودا على المناقشات الحرة ، قد اكتشف فى هذه المؤتمرات بعض الميول الثورية . وللمرة الثانية نراه يتنكر لجمال الدين ، الذى طلب منه من جديد مغادرة البلاد ، لكن لم يؤذَن له بالرحيل هذه المرة إلا بشرط أن يكون ذلك من طريق بغداد ، وهو أطول الطرق وأصعبها قاطبة .

وقد توجس أصدقاء الرجل المصلح شرّا من ذلك وألحوا عليه أن يعتصم بمقام عبد العظيم ، وهو بمثابة كعبة مقدسة عند الفرس يقصدونها بالزيارة والتعظيم ، فلجأ إليه جمال الدين حيث قضى هناك تسعة أشهر .

وفى يوم جميل اقتحمت عليه المقام فرقة من الجلاوزة وانتزعوه من سريره غير مبالين بمرضه ، ثم ساقوه بوحشية فى برد الشتاء وثلوجه إلى الحدود التركية يحرسه خمسمائة من الفرسان .

وكانت لجمال الدين شعبية كبيرة كان من جرائها أن الشعب الذى كان يرى فيه محاميا يدافع عن حقوقه قد هبّ ثائرا عندما علم بالطريقة العنيفة التى عومل بها . لكن هذه الاضطرابات تمّ سحقها بوحشية .

مرزا رضا مغتال الشاه المزعوم :

إن مرزا رضا ، المتهم حاليا باغتيال الشاه ، إنما هو ضحيّة مظلومة .

لقد ساقوه مكبّلا بالأغلال إلى قزوين ، حيث ذاق من العذاب ما

دفعه إلى أن يطعن بطنه بسكين إيثاراً منه للموت على العذاب الرهيب الذى قاساه على أيدى جلاديه .

وقد عولج ليعود مرة أخرى إلى المُطْبَق .

ثم عُفِى عنه أخيرا بعد واحد وعشرين شهرا قضاها فى السجن ، فذهب إلى طهران ، حيث قُبض عليه مرتين أخريين وُضِع عقب كل منهما فى السجن لمدة سنة . وبعد ذلك تم نفيه فغادر وطنه مشلولا .

وقد ذهب هذا البائس حينذاك إلى إستانبول ، حيث دخل مستشفى غِسْلى الفرنسى لمدة شهرين ، ثم غادره وهو لا يزال مريضا ، قائلا إنه سيسافر إلى أحد البلاد الحارة . وقد وصل عجز هذا المعوّق الذى أرادوا إلباسه تهمة اغتيال الشاه إلى الحد الذى كان يتعذر عليه معه رفع فنجانه إلى فمه بسبب مايعانيه من رعشة فى يده .

والواقع أن سخف الخرافة التى قام أعداء المصلح الكبير بتلفيقها من هنا وهناك قد أصبح ظاهراً للعيان . وأغلب الظن أن الذى اغتال الشاه هو مرزا آخر ، لأن هذا الاسم منتشر بين الفرس انتشاراً واسعًا . أما بالنسبة لمذهب « البابيين » الدينى الثورى فليس لجمال الدين المهموم أولا وقبل كل شىء بالإصلاحات المدنية أية صلة به .

وفى ظل هذه الظروف سيكون من الغريب الشاذ أن يُقْبَض على الفيلسوف الكبير ويسلّم لأيدى جلاديه .

صحيفة « الإنترنسيجون » / ٦ يوليه ١٨٩٦ م .

رابعا : مؤامرات الشرقيين

رسائل منشورة فى صحيفة « باريس »

(فى ٣ ، ٥ ، ١٢ ديسمبر ١٨٨٤ م)

عن نشاطات جمال الدين فى فرنسا

١ ـ مؤامرات الشرقيين (١) .

منذ بضعة أيام أُبْعد عن فرنسا واحد من الرعايا المصريين اسمه إبراهيم ، ويقال إنه هو الكاتب السابق لإسماعيل باشا . وحول هذا الشخص أرسل أحد قرائنا من ليڤورن بعض المعلومات المهمة عن المؤامرات التى تدور حول المطالبين بعرش مصر . وها هو ذا خطاب مراسلنا ، الذى يبدو أنه واسع الاطلاع على جميع هذه الأمور .

ليڤورن فى ٢٩ نوفمبر .

سيدى المحرر :

أدهشنى ما قرأته مؤخرا فى بعض الصحف الباريسية من معلومات توصف بأنها دقيقة عن إبعاد إبراهيم بك المويلحى أحد رعايا مصر .

والآن اسمحوا لقارئ حريص من قراء صحيفتكم أن يقدم لكم

---

(١) صحيفة « باريس » (الأربعاء ٣ ديسمبر ١٨٨٤م) / ص٢ / عمود ١ ـ ٢ .

بعض المعلومات الدقيقة عن الظروف السابقة التى أدت إلى ما اتخذه وزير الداخلية الفرنسى من إجراءات :

إننى أعرف إبراهيم بك ، وكثيراً ما تحدثنا معاً عن إقامته فى باريس وعن صحيفة « الاتحاد » وراعيه القديم خديوى مصر السابق إسماعيل باشـــا .

وينحدر إبراهيم بك من إحدى كرائم الأسر فى مصر . ويمتلك أخوه عبد السلام بك ، الذى يعيش فى القاهرة ، ثروة هائلة جدا . وكان أبوهما المتوفَّى منذ عدة سنوات قد ترك لهما ما لايقل عن ١٢٠٠٠٠٠ فرنك سرعان ما أتيا على قدر كبير منها . وفضــلا عن ذلك فإنهمــا من « السادة » ، أى من سلالة النبى ، لكن هناك فى مصر الكثيرين من أمثالهما .

وبعد خلع إسماعيل ببضعة أشهر سافر إبراهيم بك ، الذى كان قد بقى فى القاهرة دون موارد ينفق منها ، إلى نابلى مرتميا على قدمى الخديوى السابق ، فوظّفه إسماعيل لديه . ثم إنه ، بسبب ضيقه بحياته الجديدة أو ربما بسبب إحساسه أن راعيه لا يعامله كما ينبغى ، قد غادر نابلى متوجها إلى باريس . وهكذا لم يستمر فى خدمة إسماعيل باشا حاشا بضعة أشهر . وفى باريس أصدر ثلاثة أعداد من صحيفة « الاتحاد » ، وذلك بتمويل من شاب فى حزب حليم باشا ، ولكنه تجنباً للشبهات كان دائم القول فى باريس والكتابة فى إيطاليا ومصر وإستانبول

بأنه لا يزال فى خدمة الخديوى السابق إسماعيل باشا . وكانت « الاتحاد » تهاجم السلطان بعنف . وكان إبراهيم بك يعضد فى صحيفته ، ضمن أشياء أخرى ، الفكرة التى على أساسها لم يكن يملك أى حق فى خلافة الرسول البتة .

ولكى يكسبه حليم إلى صفه فقد وعده ، فى حالة اعتذاره عن خطئه علناً ، بأن يقلده نيشانا ويخلع عليه لقب « باشا » . كذلك فقد بين له المزايا المالية التى يمكن أن تعود عليه إذا انشقّ على إسماعيل . وعندئذ علم بالأمر الخديوى السابق ، الذى بذل كل ما فى وسعه لمنعه من الانتقال إلى صفوف غريمه .

وقد وقع إبراهيم بك فى الشَّرَك وذهب من ثَمّ إلى السفارة العثمانية ليخبرهم بالساعة التى سيظهر فيها هذا العدد . وقد صودرت الصحيفة فى الواقع ثانى يوم عند خروجها من المطبعة .

وقد ظل لمدة شهرين ينتظر النيشان والباشوية والحظوة لدى حليم . كما كتب إليه مراراً دون أن يتلقى أى رد على رسائله . ولما وصل إلى حافَة اليأس والشقاء عاد الى الوقوف بجانب إسماعيل ، الذى أخذته الشفقة عليه وخصّص له مرة أخرى راتبا شهريا بعد أن أخذ عليه العهد كتابةً ألا يغادر ليڤورن أو يعود إلى الكتابة من جديد .

بيْد أن إبراهيم لم يكن يستطيع البقاء هادئًا ، فأخرج دون علم الخديوى السابق عدداً من صحيفة « الأنباء » . قلت : « عدداً » لأن

إسماعيل باشا ما إن علم بالأمر حتى منعها من الصدور .

ولكى أوضّح لكم الدوافع التى جعلت إبراهيم بك يستأنـف إصدار « الاتحاد » بعد انقضاء أربعة أعوام أرى لزامًا علىّ أن أحدثكم عن شخصٍ يُعَدّ السبب المباشر وراء إبعاد رجل إسماعيل القديم .

لقـد وصل إلى باريـس منذ سنتين الشيخ جمال الدين المسمّى بـ « الأفغانى » والمتلقب بـ « الفيلسوف » ، فسارع إليه رجال حليم أملا فى أن يكسبوه إلى صفّ سيدهم الطامع فى العرش . وأخذت الصحف آنذاك ، وبخاصة الجادة منها ، تنشر أغرب الأخبار عن جمـال الدين ، فـخلعت عليـه لقب « أميـر » ، وإن كنت لا أدرى من أين ولا كـيف حصل على هذا اللقب . كمـا نسبت إليه المشروعات الضخام ، وأقلها إشعال الثورة فى العالم الإسلامى وطرد الإنجليز والأوروبيين من مصر . وقد استمرت هذه الضجة ما يقرب من شهر .

إلا أن « الأمير » سرعان ماخيّب آمال المتحمسين له ، إذ تبين لهم أنه ليس باستطاعتهم أن يخلقوا ولو بالقوة بطلا من رجل لا يغادر فراشه قبل الحادية عشرة صبـاحًا أو بعد ذلك بساعة ، فانصرفوا عنه تاركين إياه لمجموعة من السذج الملتفين حوله يحدثهم عن محمد وچنكيز خان وأفـغانسـتان . وقـد حـاول جـمـال الدين ، الذى توالى طرده عن بلده أفغانستان ، حيث فشـل فى أن يجعل من نفسه « مهـديًا » ، وعن إستانبول ومصر والهند ، أن يجد العون عند إسماعيل باشا . لكن الخديوى

السابق ، الذى كان يعرف رجله جيدا ، رفض استقباله . وحينئذ استدعى الأمير الأفغانى المزعوم ، والغيظ يملأ قلبه ، هذا الإمعة إبراهيم ، الذى هرع من ليفورن إلى باريس ، حيث قضى ثلاثة أيام . وقد بدأ المتآمران بإرسال خطاب غفل إلى إسماعيل ، وهو تصرف إن لم يكن يدل على إخلاص كبير فإنه ينم عن شرقية صميمة . ولما لم يحدث الخطاب التأثير المنشود نشرا فى إحدى الصحف المتشددة مقالا هددا فى ختامه ببقية له ستنشر فى العدد التالى . .وها هى ذى سنة قد مرت دون أن تظهر هذه البقية .

وقد نجح أحد الوسطاء مع ذلك أن يحصل للشيخ جمال الدين من إسماعيل باشا على صدقة مقدارها مليون فرنك أخرجته من ضائقته ، فأرسل إلى بيروت يستدعى صديقه المقرب محمد عبده . وقد أعلنت بعض الصحف الباريسية حينذاك عن قرب ظهور صحيفة عربية تقف خلفها جمعية ينتمى أعضاؤها إلى جميع الأقطار الشرقية . وكان هدف الصحيفة الجديدة هو الدعوة للإسلام والعمل على تحرير المسلمين من نير الكفرة .

هذا ، ولافائدة من القول بأن تلك هذه الشركة المساهمة لم يكن لها وجود إلا فى مخيلة جمال الدين وعبده . ومع ذلك فقد ظهرت الصحيفة باسم « العروة الوثقى » . وبرغم رفض إسماعيل باشا الصارم أن يقدم أية معونة لهذه الصحيفة فإن الأفغانى العنيد قد استطاع أن ينتزع منه

ألفى فرنك . وقد قام هذا الأخير باستدعاء إبراهيم بك من ليڤورن وبصحبته هذه المرة الأميرالاى حسين باشا ، الذى لا أظن إلا أنكم تعرفون اسمه . وقد قَدّم هذا الأميرالاى الذى كوّن ثروته من الاختلاسات الفاضحة ما لا يقل عن أحد عشر ألف فرنك ، معاونةً منه فى صدور صحيفة تدعو إلى الجهاد ضد الكفّار . ومن الطريف أن هذه الصحيفة التى أُعلن أنها ستكون أسبوعية لم تكن تظهر فى الواقع إلا كل ثلاثة أسابيع .

وقد قرّر هؤلاء الحواريون الأربعة العودة الى « تمجيد » الخديوى السابق من جديد . كما طبعوا أيضا عددا من صحيفة « الاتحاد » ، التى قيل قبل أربع سنوات إن إسماعيل هو الذى يقف وراءها . وتم طبع هذه الصحيفة على الحجر ، ولم يُسحَب منها إلا نُسَخٌ عشر بدت كافية لتخويف إسماعيل باشا . ولما شمّت السفارة العثمانية رائحة المؤامرة طالبت بإبعاد إبراهيم بك، مموّل زملائه فى الجماعة وأضعفهم موقفا ، وتمّ لها ما أرادت .

وقد كان الأميرالاى حسين فى الواقع أكثرهم انغماساً فى الأمر ، إذ كان يخطط لاقتراض ٢ إلى ٢٥٠٠٠٠ فرنك من الخديوى السابق ، بيد أن هذا المشروع المربح قد حَبِط الآن .

واليوم يلتف هؤلاء السادة حول حليم . لكننى أعرف جيدا رأى ابن محمد على ، الذى كان ردّه على المشيدين بحماسة جمال الدين أمامه

ذات يوم : هذا رجل متهور لايفهم فى السياسة شيئا . وإذا فكّرتُ يوما فى الوصول إلى كرسى الخديوية فلن يكون ذلك بالاستعانة به ، وإلا كان مصيرى هو الإخفاق التام .

بهذا أكون قد لخّصْتُ لكم بأقصى ما أستطيع جميع جوانب هذه المؤامـــرة ، مغفلا فى نفس الوقت كثيراً من التفاصيل المهمة ، مثل علاقة سير وِلْفِرِد بلّنت ، المدافع عن عرابى ، مع إبراهيم بك وغيره من الشخصيات الأُوروبية الهامة .

هذا ، وفى ما قلته لكم ما يكفى لمساعدتكم فى أن تقدروا تقديرا سليماً الدسائس التى يجعل بعضُ مواطنينا من أنفسهم عن طريقها آلات صماء لا تعى ما تصنع .

٢ ـ رد جمال الدين (١)

(وصلنا الخطاب التالى ردًا على رسالة من ليڤورن

كنا قد نشرناها)

سيدى رئيس التحرير :

تفضل أصدقائى بإعطائى عدد مجلتكم الغرّاء الذى وردت فيه الإشارة إلى شخصى الضعيف ، فوجدت فيه عدة تشنيعات ضدّى لايمكن أن أسكت عنها طويلا .

وائذنوا لى أن أقول لكم إنكم بحسن نية قد فتحتم أبواب صحيفتكم لمقالة يرى أنصارى أنها لابد أن تكون مرسلة من باريس لا من ليڤورن .

لكن ليس فى نيتى أن أستغل كرمكم أكثر من ذلك ، ومن ثم فسأقتصر على الردّ باختصار على اتهامات مراسلكم :

١ ـ لم يحدث قط أن تطلعت إلى أن يكون لى لقب « أمير » كما يدعى بعضهم ... (٢) . ثم إن للبيت الذى أنتمى إليه من الشهرة مثل ما لأنبل البيوتات فى بلادى . كذلك فإن أسرتى تضاهى فى شهرتها أنبل الأسر فى تلك البلاد .

---

(١) فى صحيفة « باريس » بتاريخ ٥ ديسمبر ١٨٨٤م / ص ٢ / عمود ٢ .

(٢) أسقطت هنا عدة كلمات لم أستطع فهم المراد منها بوضوح لما فيها من ارتباك .

٢ ـ لم يحدث أن أحوجتنى الظروف لأموال إسماعيل باشا .

٣ ـ كنت دائما ، وحتى اليوم الذى تم فيه إبعاد إبراهيم بك عن فرنسا ، أعرف أنه كاتب الخديوى السابق .

٤ ـ ثم إن ثروة الأميرالاى حسين تجعله بمنأى عن أية شبهة فى أنه يريد الحصول على قرض من إسماعيل لا هو ولا أنا بحاجة إليه .

٥ ـ وأخيرا فإنه لم يخطر لى فى بال أن أعلن أننى « المهدى » . وإذا كنت أفكر فى طرد الإنجليز من بلادى فهذا واجب وطنى عاهدت نفسى على أدائه ولا أنتظر من أحد آخر القيام به .

هذا ياسيدى ما أردت الكتابة به إليك ، راجياً أن يوضع ردى بين يدى القراء . أما مراسلكم فإننى لست بحاجة إلى النبش فى ذاكرتى طويلا عن اسمه ، فهو مترجم سابق لى طردته من بيتى عندما تبين لى أن سوابقه من شأنها تلويث من يتصل بهم .

وليست اتهاماته لى إلا انتقاما صغيراً أصبح منذ فترة للأسف تقليداً من التقاليد الحديثة ، ولديكم فى فرنسا كلمة تصفه خير وصف .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

الشيخ جمال الدين الأفغانى

٣ - مؤامرات شرقية [١]

(برغم أن مؤامرات مسلمى مصر وغيرها من البلاد حول المتطلعين إلى الخديوية ربما لا تشكل لدى قرائنا إلا أهمية ضئيلة ، فإننا لا نستطيع أن نرفض نشر خطاب مراسلنا فى ليڤورن الذى يفنّد فيه دعاوى الشيخ جمال الدين الأفغانى الواردة فى ردّه على مارواه مراسلنا من أحداث صغيرة سابقة أدت إلى طرد إبراهيم بك ، الكاتب السابق لإسماعيل باشا) [٢] .

سيدى المحرر :

تسلّمت عدد الخامس من هذا الشهر من صحيفتكم الغرّاء ، وأرجو أن تأذنوا لى بالرد على الشيخ جمال الدين .

لقد لاحظت فى الرسالة التى بعث بها الشيخ الأفغانى إليكم أنه بدلا من تفنيد التشنيعات التى ادعى أنه ضحية لها أخذ يلفّ ويدور ويضرب فى الهواء ، ثم انتهى (فى محاولة منه بلا شك لتحويل الأنظار) بتلميح

---

(١) فى عدد ١٢ ديسمبر ١٨٨٤م من صحيفة « باريس »

(٢) يرى القراء كيف أن ما كتبه الشيخ جمال الدين ردّا على كلام مراسلنا لا يغيّر كثيرا من أساس ما حكاه هذا المراسل . وفضلا عن ذلك فقد بعثنا لمراسلنا بخطاب الشيخ الأفغانى ، إذ إن الإجابة على كلام الشيخ أمر يخصه هو .

هذا ، ونسوق اليوم الملاحظة البسيطة التالية : وهى أن خطاب الشيخ جمال الدين قد أُرْسِل إلى أحد زملائنا فى صحيفة « لو ماتان » قبل أن نتمكن من نشره . وهو تصرف ليس صواباً تماماً ، على الأقل عندنا فى الغرب .

خبيث ضد أحد مترجميه السابقين ممن لا يهم الجمهورَ شخصُه فى شىء . وليس هناك كبير أهمية فى أن نعرف هل كان للشيخ مترجم واحد أو عدة مترجمين ، أو أن نعرف هل فصلهم أو تركهم ، بل المراد إثباته هو المؤامرات التى يقوم بها الشيخ ومحاولاته لـ « الابتزاز » . والشىء الذى ينبغى علىّ أن أوضحه هو أنه ، كما قلت فى رسالتى الأولى ، كان السبب غير المباشر فى طرد إبراهيم بك .

ثم إن السيادة (وهى مجرد كلمة ينطقها المنحدرون من سلالة النبى) لاتكفى فى أوروبا لحسم المسائل . لقد استغل الشيخ الصحف للإعلان عن نفسه ، فرُدّ عليه فى الصحف . والجمهور هو الحكم . وهناك أيضا المحاكم حيث يستطيع الشخص أن يجر إليها المشنّعين عليه . فهل يجرؤ الشيخ على ذلك ؟

١ ـ لقد قال الشيخ جمال الدين إنه لم يحدث قطّ أن تطلّع إلى أن يكون له لقب أمير . وأنا لم أقل شيئا من هذا البتة ، وإنما لاحظتُ فقط أنه يترك الناس دائما يطلقون عليه هذا اللقب . ويمكن الرجوع فى ذلك إلى الصحف الباريسية الصادرة فى فبراير ١٨٨٣ م .

وكذلك قال الشيخ إن البيت الذى ينتمى إليه ذو شهرة واسعة . وهو يشير بهذا إلى كونه « سيدا » (أى من سلالة النبى) . فليكن . وليس فى هذا من بأس . وإنى أريد أن أصدّقه ، ولكن دون إطالة فى الموضوع .

٢ ـ كما كتب الشيخ أنه لم يأخذ قط مالا من إسماعيل باشا .

لكنه نسى مع ذلك المساعى المكررة التى قام بها لدى إسماعيل أحد المصريين الذى يعمل الآن مديرا لبنك الإسكندرية ، وهى المساعى التى أسفرت عن لقاء بينه وبين الخديوى السابق . وهذا اللقاء ، إذا لم تخنّى الذاكرة ، قد تمّ فى العاشر من يناير ١٨٨٤ م تقريباً ، حيث أخطر مسيو لاڤيزون (*M. Lavizon*) فى اليوم التالى مبلغ ألف فرنك إلى الشيخ فى مسكنه رقم ١٦ بشارع سيز (*Sèze*) . وبعد عدة ساعات من ذلك اليوم الذى لن ينساه الشيخ جاءه رسول آخر من الخديوى السابق ، هو على بك شفتكى ، ليخبره بأن هذه الألف من الفرنكات ليست بأية حالٍ إعانة لصحيفة .

ثم دخل الأميرالاى حسين التونسى الحلبة بدوره ، وذلك للحصول على المزيد من أموال إسماعيل . ويبدو أن الشيخ لايذكر رحلة تورين ، تلك التى لم تتمخض عن أية نتيجة . ثم هل امّحَتْ من ذاكرته زيارة الخديوى السابق لـ (الجراند أوتيل) بعد ذلك بشهر ، وكذلك ألفا الفرنكات التى أحضرها معه ؟ إن هذا إذن لمنتهى الجحود .

٣ ـ ولننتقل الآن إلى قول الشيخ إنه كان دائما ، وحتى اليوم الذى تم طرد إبراهيم بك فيه ، يعرف أنه كاتب الخديوى السابق .

لكن إبراهيم بك لم تعد له علاقة بإسماعيل باشا منذ حوالى أربع سنين . وفى حوزة الشيخ رسائل تثبت ذلك . ومن الممكن العثور على مثلها عند غيره إذا دعت الضرورة . وقد بقى إبراهيم بك محجوزا فى

ليفورن أربع سنين لم ير خلالها سيده القديم أكثر من مرة أو مرتين ، فيا له من كاتب عجيب !

٤ - ويقول الشيخ الأفغانى إن الثروة الهائلة التى يملكها الأميرالاى حسين تجعله فى مأمن تام من شبهة التفكير فى الحصول على قرض .

بيد أن حسين باشا منذ ثلاث سنوات ، وكما يعلم الذين يعرفونه ، يدور حول إسماعيل بغية الاقتراض منه . ثم ألا يعلم جمال الدين أن هذا الأميرالاى التونسى فى هذه اللحظة نفسها ينوء تحت عبء قضية مع وكيل أعماله ؟ ثم إنه قد أحرز مكسبا من وراء طبع صحيفة « الاتحاد » ، التى كانت تهاجم شخص السلطان فى محاولة منه لإنجاح مشروعه ، الذى انتهى إلى الفشل .

٥ - وأخيرا فإن الشيخ جمال الدين يدّعى أنه لم يفكر البتة فى أن يعلن أنه « المهدى » . أليس لدى الشيخ علم بمقالات الصحيفتين العربيتين اللتين تصدران فى مصر : « الزمان » و « مرآة الشرق » واللتين كتبتا ، ضمن أشياء أخرى على جانب كبير من الأهمية ، أنه حاول ولا يزال يحاول أن يعلن نفسه « مهديا » ؟ أترى ينبغى أن نسند ترجمة هذه المقالات إلى أحد المترجمين بعد تحليفه لإقناع الجمهور وإيقاظ ذاكرة الشيخ الأفغانى النائمة ؟

وأغرب شىء أن الشيخ جمال الدين ، فى غمرة تكذيبه لما قلته ، قد

نسى أن يكذّب وجود إبراهيم بك سرّا فى باريس فى الثانى عشر من نوفمبر ١٨٨٣ م (أينبغى أن أقول : فى أى فندق ؟ وبأى اسم من الأسماء المستعارة ؟) ، وذلك بناءً على استدعاء الشيخ نفسه . وعقب مداولات سرية بين المتآمرين أُرسل خطابٌ غُفْل من التوقيع إلى إسماعيل باشا .

وقد كان فى مستطاع الشيخ أيضا أن ينفى الدور الذى قام به فى عودة صحيفة « الاتحاد » إلى الظهور ، وهى الصحيفة التى طُبِع منها عشر نسخ لا لشىء إلا لإرهاب الخديوى السابق .

ثم هناك « العروة الوثقى » ، التى سكت الشيخ عنها فلم ينطق بحرف ! وكذلك الخطابات الغُفْل من التوقيع أو المذيلة بتوقيعات مزيفة والموجهة إلى عدد من كبار الشخصيات . وهى خطابات مكتوبة بأسلوب العَدَميين (*nihiliste*) لتهديد من أرسلت إليهم بالقتل إذا عارضوا عودة إسماعيل باشا إلى العرش .

إن باستطاعتى أن أمضى فى الكلام هكذا وقتا طويلا ، لكننى قلت ما يكفى لتبصير قراء صحيفتكم .

لكن ائذنوا لى مع ذلك ياسيدى المحرر بتصويب صغير . ذلك أن السير وِلْفرد بلنّت ، حامى عرابى ، لم تكن له علاقة بإبراهيم بك ، بل بالشيخ جمال الدين ومحمد عبده . وقد ساعد السير ولفرد بلنت ، وهو

شخص واسع الشراء ، هذين الرجلين بالمال . لكن آخر ما أرسله إليهما كان مصحوباً بالكلمة التالية : « إن من المستحيل بالنسبة لى أن أساعد صحيفة معادية لبلادى » . ويبدو مع ذلك أن هذين السيدين لم يرعويا وأنهما كانا يخططان لإصدار صحيفة عربية تُطْبَع على الحجر وخالية من التوقيع . وهكذا نجد أمامنا دائما نفس المشروع ونفس الإجراءات .

أما محمد عبده ، المصرى الذى استدعاه الأفغانى من بيروت حيث كان منفيا ، فقد غادر باريس الى مارسليا . *chi sa perché* .

وتفضلوا ، سيدى المحرر ، بقبول فائق الاحترام .

مقال صحيفة « تريبين دى جنيف »

عن العلاقة بين جمال الدين والمهدى

لم قبض الإنجليز على أوكيلى ؟

لقد قبض الإنجليز أول من أمس فى القاهرة على مسيو جيمس أوكيلى ، مراسل « نيويورك هيرالد » بالسودان .

إن مسيو أوكيلى هو نفسه أحد رعايا الملكة ، لأنه أيرلندى . وهو من الناحية السياسية إذن إنجليزى ، مثلما أن أهل الألزاس واللورين التابعين لألمانيا هم أيضا ألمان . ولكن لم هذا القبض على أوكيلى ؟

إن لمسيو أوكيلى علاقات فى الصحافة الباريسية ، وخصوصاً الصحف المتشددة . وقد كان هذا الصحفى الأيرلندى ، عضو مجلس العموم عن مقاطعة أيرلندا ، فى صحبة مسيو درانل فى رحلته الأولى إلى فرنسا فى يناير ١٨٨١ م .

وكان مسيو أوكيلى هو الذى يقوم بالتعريف والترجمة فى لقاءات زميله بمحررى الصحف الباريسية . وقد بدأت زيارات الاثنين بزيارة مسيو هنرى روشفور (*Rochefort*) ، الذى كان قد عرفه فى أمريكا بعد فرار نوميا (*Nouméa*) الشهير . وكان مسيو بينيت (*Bennet*) قد كلفه أن يطلب من روشفور ، الذى كان قد استقبله من قبل ، مقالا لصحيفة « الهيرالد » دفع فيه أوكيلى خمسة آلاف فرنك . وقد ذكرنا هذا كله

لنبين كيف نشأت علاقة أوكيلى بمسيو روشفور ، وكيف استطاع هذا مؤخراً أن يستودعه عند رحيله إلى السودان الرسائل المشبوهة التى بسببها قبض الإنجليز على مراسل « الهيرالد » . وكان مسيو روشفور فى باريس على علاقة وثيقة برجل أجنبى قادم من الشرق ، هو الشيخ جمال الدين الأفغانى .

وهذا الشيخ عالم دينى مسلم من أفغانستان يدعو منذ فترة طويلة بين مسلمى الهند إلى الكراهية العرقية للإنجليز والجهاد الدينى ضدهم . وقد أتى جمال الدين إلى باريس منذ نحو عامين وهو مبيت النيّة على مواصلة دعوته وتكبيد الإنجليز من الضرر عن بُعْد أكثر مما استطاع تكبيده لهم عندما كان بالقرب منهم .

وفى مراسلاته مع كثير من الشخصيات الإسلامية كان يتحدث عن إنشاء صحيفة فى باريس للدعوة ضد الإنجليز . وهذه الصحيفة يطبع منها ٣٠٠٠ نسخة .

وهى تصل إلى بلاد العرب والهند ومصر عن طريق موزعين سرّيين. وهذه هى الوريقة التى دأبت البرقيات المقتضبة للمراسلين الإنجليز على وصفها بـ « منشورات المهدى » . وقد كان من الممكن أن تكون مقالات جمال الدين صادرة عن المهدى فى قلب الصحراء ، لكنها فى الواقع مكتوبة فى شقة بفندق سيز (*L' Hotel de Sèze*) فى شارع سيز رقم ١٦ بيد الشيخ الأفغانى صديق هنرى روشفور . وعندما وجبت ساعة

السفر إلى السودان طلب أوكيلى من هنرى روشفور أن يزوده بالمعلومات اللازمة عن البلد الذى قام فيه المهدى بثورته وطابعه المميز .

ولقد فعل الشيخ ما هو أحسن من هذا ، إذ بعث مع مراسل الهيرالد بخطابات وأعداد كثيرة من صحيفته كي يسلمها للمهدى .

هذا هو سبب القبض على مسيو أوكيلى . والخوف الآن أن يقبض الإنجليز ، الذى لم يحترموا شخص مواطنهم ، على مواطنينا أيضا .

وهناك فى الواقع ثلاثة صحفيين فرنسيين فى قلب الصحراء الآن فى طريقهم لمعسكر المهدى . وهؤلاء الصحفيون ، وهم هـ . روشفور الابن وأوليڤييه بين وجيهان سودان ، مزودون ، مثلما كان أوكيلى مزودا ، بخطابات من جمال الدين إلى « النبى » السودانى .

الفهرست

رقم الإيداع ٩٦/٩٤٣٩

دار الفردوس للطباعة

ت. ٢٩٧٩٥٢٥







د. إبراهيم عوض

* ليسانس آداب جامعة القاهرة ١٩٧٠ م
* دكتوراه من جامعة أوكسفورد ١٩٨٢ م
* له عدد من المؤلفات النقدية والإسلامية منها :

- المتنبى - دراسة جديدة لحياته وشخصيته
- المتنبى بإزاء القرن الإسماعيلى فى تاريخ الإسلام (مترجم عن الفرنسية)
- المستشرقون والقرآن
- ماذا بعد إعلان سلمان رشدى توبته ؟ دراسة فنية وموضوعية للآيات الشيطانية
- الترجمة من الإنجليزية - منهج جديد
- النابغة الجعدى وشعره
- من ذخائر المكتبة العربية
- السجع فى القرآن (مترجم عن الإنجليزية)
- جمال الدين الأفغانى - مراسلات ووثائق لم تنشر من قبل

مكتبة زهراء الشرق

١٩٩٦م